

أزهار من رياض

سيرة الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

تأليف العلامة الشيخ
محمد حامد الفقي
رحمه الله تعالى
مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

وثق نصوصه وعلق عليه وخرج أحاديثه
أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان المصري

جمعية أهل الحديث والأثر

مكتبة المورد
دار علم السلف



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





أزهار من رياض

سيرة الإمام العادل

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

رحمه الله تعالى



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

التاريخ: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ١٤٤٩٣ /٢٠٠٨م

صندوق بريد: ٥٠٢٩ - رمز بريدي: ١١٧٧١

جوال: ٠١٢/٦٥٦٧٥٦٥

دار علم السلف

توزيع



دروة - مركز أشمون - منوفية

المشهرة برقم ١٢١٢ بتاريخ ٨/٨/٢٠٠٦

هاتف: ٠٢/٢١٩٤٠٢٠



ALMAWRED BOOKS CENTER

ISLAMIC BOOKS PUBLISHERS

SAUDI ARIBIA: 009662 / 7435942 - 0505790985

EGYPT: 00202 / 25062962 - 0105769955

المملكة العربية السعودية: الطائف - الشهداء الشمالية - ٠٢/٧٤٣٥٩٤٢ - ٠٥٠٥٧٩٠٩٨٥

HAMDYNOFAL@HOTMAIL.COM

جمهورية مصر العربية: القاهرة - الأزهر - ١ درب الأتراك - ٠٢/٢٥٠٦٢٩٦٢ - ٠١٠٥٧٦٩٩٥٥

HAMDYNOFAL@YAHOO.COM

أزهار من رياض

سيرة الإمام العادل
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

تأليف العلامة الشيخ
محمد حامد الفقي
رحمه الله تعالى
مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

وثق نصوصه وعلق عليه وخرج أحاديثه
أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان المصري

جمعية أهل الحديث والأثر

دار علم السلف
مكتبة المورد


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإن الدولة السعودية السلفية في أطوارها الثلاث إنما قامت على التوحيد والسنة، واستمرت حتى الآن شامخة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان بسبب تمسك أهلها بالتوحيد والسنة ومنهج السلف الصالح في مجمل أمرهم.

ولكن ثَمَّ مؤامرة تدبر ضد التوحيد وأهله.

وهذه المؤامرة ليست جديدة، إنما هي شأن أعداء الرسل وأتباعهم في كل زمان ومكان، فهي سنة ربانية ماضية كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ...﴾ [الفرقان: ٣١].

وعليه فقد مضت هذه السنة في حق دولة التوحيد، فتكالب عليها أعداء التوحيد يبغون إضعافها وتفتيتها ثم زوالها، لا مكّن الله لهم سعيًا.

وإنه لما قامت الدولة السعودية الأولى بالتآزر بين الإمام محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود -رحمهما الله-، إنما قامت على النهج السلفي القويم الذي قامت عليه دولة الإسلام الأولى في المدينة، وكانت الدعوة واضحة ظاهرة لا يزيغ

عنها إلا هالك شأنها شأن دعوة الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- في مهدها الأول، فتآلفت قلوب الموحدين عليها فكانوا جماعة واحدة على منهج واحد، لا تفرقهم حزبيات، ولا مناهج مستحدثة، ولا يتطلعون إلى أساليب الكفار في صياغة طريقة حياتهم.

وعلى هذا النهج قامت الدولة السعودية الثالثة على يد الإمام الفذّ المقدام -مصلح هذا القرن- الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل -رحمه الله رحمة واسعة-.

ولكن كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]. فخلف من بعده خلف تناسوا كيف بلغتهم هذه النعم التي يرفلون فيها صباحًا ومساءً، ولم يدركوا هذه الحقائق والسنن الربانية في إقامة الدول وزوالها، وعليه تمكن بعض أهل الأهواء مِمَّن غزاهم على غرة من أن يُحيِّدوهم عن مصدر عزهم وسبب نصرهم وتمكينهم.

فدخلت الأحزاب بأساطيلها القطبية والإخوانية والتبليغية والصوفية والسرورية.. إلخ. هذه الأحزاب البدعية وسط هذا المجتمع الفطري الذي أُسِّس على تقوى من الله، فغيرت شيئًا من صبغته السلفية النقية، وفشت فيهم البدع التي لم تكن في آبائهم، واستبدل الذين سقطوا منهم في فخ الأحزاب آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب -الذين حملوا لواء الدعوة السلفية من بعده- بآل قطب والبنا والمودودي وإلياس.

وتمكن الخبثاء في جنح الليل من خطف كدِّ الأمناء من هذا الشعب الطيب الأعراق وإنفاقه على تغيير هويته السلفية إلى هويتهم البدعية باسم: «توحيد طوائف المسلمين ضد اليهود وأمريكا»، وباسم: «الجهاد لتحرير القدس وتحرير الشعب الأفغاني»، وباسم: «تمويل الحركات الإسلامية في شتى الدول لإقامة حكومات إسلامية هناك».. زعموا وكذبوا.

ولم يكتف هؤلاء الخونة بسرقة أموال هذه الدولة الآمنة لإنفاقها في هذه التفجيرات التخريبية التي يسمونها جهادًا، وفي المظاهرات الغوغائية التي يسمونها

إنكارًا للمنكر، وفي الخروج على ولاة الأمر بالكلمة والسلاح الذي يسمونه سعيًا لإقامة الخلافة، بل بلغت بهم القحة أن يفسدوا عقيدتها النقية، وأن يَسْبوا الجيل الصاعد في رق أفكارهم الحزبية الدنيئة، واتبعوا سنن من قال الله فيهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقد أحكموا أمر المؤامرة على التوحيد وأهله، بتنشئة دعاة من بني جلدتنا صاروا يحقرون من قامت هذه الدولة السنية الفتية على أكتافهم، وهم: آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وآل سعود، وهذا التحقير لم يكن تحقيرًا مباشرًا، وإنما كان تسفيهًا خفيًّا وظاهرًا للعقيدة التي كانت السبب في نصر الإمام ابن سعود الأول، وأخيرًا الإمام عبد العزيز بن فيصل، ورسَّخوا في أذهان الشباب الصاعد أن العلماء من آل الشيخ إنما هم عملاء للسلاطين من آل سعود، فراموا قطع صلة هذا الجيل بأجداده الشرفاء الذين بهم قامت الدولة، وبسقوطهم تزول، وكادوا أن يحققوا بغيتهم، لولا أن الله أمد أولياءه بمدد البصيرة فشعروا بالفخ، وسعوا لمحاولة إنقاذ هؤلاء المخدوعين منه، و﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

فبعد هذه الجهود الجبارة من آل الشيخ وآل سعود لحفظ كيان التوحيد والشريعة في الحرمين الشريفين وما يحيط بهما من بلاد، تنبت هذه النبتة النكدة التي أثمرت أبواقًا شاذة تدافع عن رجل جمع فأوعى من البدع.

فجيَّشت هذه الخلوف جيوشها للذب عن عرض سيد قطب الذي يسب -بل يكفِّر- طائفة من أصحاب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- على طريقة الشيعة الروافض، والذي نخر بسمومه الفكرية -التي استقاها من المنتديات الكنسية- في عقائد السلف تسفيهًا وتشويهًا، ممجدًا عقائد الصوفية الحلولية والنرفانا الوثنية والمعتزلة الردية والجهمية الجبرية والخوارج القعدية والحركية.

ثم لم تلبث هذه الخلوف القطبية الإخوانية التبليغية الصوفية إلا أن تسفر عن وجهها الكالح، بعدما انكشفت أوراقها، وضمنوا إحكام الأغلال التي طوقوا بها

أعناق الملايين من شباب الأمة، أن صيَّروا أهل البدع والأهواء هم الأمناء على هذه الأمـــة.

فصار هؤلاء الدعاة يرفعون أصحاب البدع الظاهرة الذين حارب أمثالهم الإمام المجدد في بداية دعوته، إلى مصاف المجددين والدعاة العاملين الذين أفادوا شباب الأمة وأحيوا الإسلام في قلوبهم -على زعمهم الباطل-.

فخرج علينا سفر الحوالي وعدنان عرعور ومحمد حسّان وغيرهم يدافعون عن حامل لواء الخوارج في هذا الزمان سيد قطب، واعتبروه جميعًا أحسن من تكلم في التوحيد، زعموا !!

ثم خرج علينا سلمان العودة يدافع عن «الجفري» -الصوفي الشيعي الزنديق[1].

بل ويدافع أيضًا عن هذا المعتزلي الفلسفي المجهول الهوية عمرو خالد، وعن طارق السويدان الذي يجيز للروافض سب أبي هريرة لكن في بيوتهم دون أن يعلنوه على العامة.

ويعتبر أمثال هؤلاء مِمَّن انتفع بمواعظهم الشباب فتركوا المعاصي التي كانوا عليها، وتناسى أن الموحد السني العاصي -وإن كان زانيًا أو شاربًا للخمر أو آكلاً للربا- خيرٌ عند الله من الصوفي القبوري والمبتدع الحزبي.

أخرج ابن وضَّاح في «البدع والنهي عنها» (١٢٧) بإسناد صحيح عن العوام بن حوشب أنه كان يقول لابنه: «يا عيسى أصلح الله قلبك، وأقلَّ مالك».

وكان يقول: «والله لأن أرى عيسى يجالس أصحاب البرابط والأشربة والباطل أحب إليَّ من أراه يجالس أصحاب الخصومات».

فما فائدة أن يترك الشاب الزنا وشرب الدخان، ثم إذ به يجر من باب خلفي إلى ما هو أكثر ضلالاً، نحو الوثنية القبورية التي يدعو إليها الجفري، ويزينها مثل عمرو خالد؟!!

---

(١) للعلامة عبيد الجابري -حفظه الله- ردٌّ طيب على الجفري في دروس مسجلة.

وانظر أيضًا: «الرد الشافي على الجفري... وبيان مخالفاته العقدية والمنهجية» لأبي عبد الرحمن عادل بن علي الفُرَيْدان، وقدَّم له العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-.

إنه انحراف ظاهر عن دعوة الرسل قاطبة ومن اتبعهم بإحسان.

وإن تعجب فعجبٌ قولهم إن هؤلاء الدعاة تمكنوا من جذب الشباب بعيدًا عن المعاصي، ثم إذا رأيت مجالسهم اكتشفت أنها لا تختلف كثيرًا من مجالس المعصية التي كان يحضرها الشاب حال عصيانه، فقد اختلط الرجال مع النساء، وجلست المرأة المتبرجة السافرة أمام هذا الداعية المزعوم، وصارت الكاميرا تنتقل بين وجه الداعية ووجه السافرة، كما يحدث تمامًا في مجالس الطرب والفجور.

والأخطر أن هؤلاء الدعاة الممسوخين صاروا يحاكون أساليب أهل الفن والتمثيل المسرحي في عرض دعوتهم، مما فتن العامة، وجعلهم يزهدون في مجالس العلم النقية القائمة على عرض الأدلة من الكتاب والسنة.

وخلال هذا الانزلاق إلى هذه الهاوية، قويت شوكة الرافضة الباطنية الإيرانية واللبنانية والعراقية والقطرية والبحرينية والكويتية -بل والسعودية[1]-، وصاروا يغمرون بعض هؤلاء الممسوخين من الدعاة بالأموال الطائلة، ليخرجوا أهل السنة من منهجهم السني السلفي، إلى ظلام التصوف والتشيع والحزبية، ولو قيد أنملة.

وعليه كان من المناسب أن تبذل الجهود وتتحد المساعي في تذكير أهل التوحيد بمجد آبائهم القائم على الاعتزاز بمنهج سلف الأمة دعوة وتعليمًا وحكمًا، فوقع اختياري على هذا الكتاب:

« أزهار من رياض سيرة الإمام العادل حضرة صاحب الجلالة

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود »

للعلامة **محمد حامد الفقي** -رحمه الله- مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية-، والذي كتبه احتفاء بذكرى مرور خمسين عامًا على دخول جلالة الملك عبدالعزيز الرياض في (٤ شوال ١٣١٩هـ)[2].

(١) مِمَّن تجنسوا بجنسية الدولة السعودية، وهم حربًا عليها، وكم شوَّهوا سمعة هذه الدولة الطيبة بسبب انتسابهم إليها جنسًا وسمتًا في طريقة اللباس ونحوه، حيث ينزل بعضهم ضيوفًا في البلاد الأخرى نحو مصر، ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، تبعًا لعقيدتهم الفاسدة التي تبيح لهم الزنا باسم المتعة.

(٢) واعتمدت على طبعة مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة (طبعة ٤ شوال ١٣٦٩).

فقد وجدت في الكتاب العبر والعظات البليغة التي يحتاج إليها شباب بلاد الحرمين بالخصوص، الذين انفصمت صلتهم بأسلافهم الأمجاد.

ونظرًا لأن الكتاب شبه مجهول عند الكثير من أبناء المسلمين، أحببت أن أحيي مجهود أحد أعلام بلدي من أئمة السلفيين في القرن الرابع عشر الهجري، حتى يدرك القاصي والداني أن أهل الحق يربطهم رحم واحد، هو رحم التوحيد ورباط العقيدة.

فليس في الإسلام انتماءات عرقية طائفية، إنما المسلمون جسد واحد وأمة واحدة يأخذون دينهم من معين واحد هو معين السلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الأولى، وينصر بعضهم بعضًا على الحق والتقوى، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن خلال سيرة هذا الإمام العظيم يدرك أبناء المسلمين كيف بنيت دولة التوحيد في العصر الحديث، ويدركون البون الشاسع بين أمثال الإمام عبدالعزيز، وأمراء هذه الأحزاب نحو حسن البنا -الأمير الأول لحزب الإخوان-، وأبو الأعلى المودودي الشيعي -أمير الجماعة الإسلامية الهندية البدعية-.

ولتأكيد هذا المعنى ألحقت بالكتاب مجموعة من أحاديث، وخطب الإمام عبد العزيز والتي ألقاها جلالته في مناسبات مختلفة[1]، والتي أكّد من خلالها اهتمامه بدعوة التوحيد، كما اهتم بها كل الرسل والأنبياء، وأطلقها مدوية صريحة بلا تورية ليكبت الشانئين الحاقدين على هذا الدين من أصحاب الأهواء الردية: «يقولون إننا وهابية، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله».

وقال مقررًا عقيدة التوحيد الصافية: «والمسلم لا يكون إسلامه صحيحًا إلا إذا أخلص العبادة لله وحده، يجب أن يتدبر المسلمون معنى (لا إله إلا الله)، فإن (لا إله)

---

(١) والتي جمعها محيي الدين القابسي ضمن كتابه «المصحف والسيف...مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود» (توزيع دار الناصر-الرياض) (الطبعة الثالثة).

نفي لكل معبود فيما سوى الله، (إلا الله) إثبات العبادة لله وحده، فيجب على الإنسان ألاَّ يشرك مع الله في عبادته نبيًّا مرسلاً ولا ملكًا مقربًا».

وليسمع هؤلاء الخونة من دعاة البدعة الذين أرادوا بلاد التوحيد بسوء تهديد الإمام عبد العزيز لأمثالهم: «وليعلم الجميع أني لا أحمل حقدًا على أحد إلا شخصين.. إما رجل ملحد في الدين أو يقصد هذه البلاد بسوء، فمن كان في نفسه شيء من ذلك فلا يأمنن عقابي»[(١)].

وتتمةً لترجمة هذا الإمام العادل نقلت ما أغفله الشيخ حامد الفقي من ترجمته، وتتضمن هذه التتمة: «شيوخه، وبيان جهوده في نشر العلم، وبيان بأسماء المخطوطات والكتب التي طبعها على نفقته وأمر بتوزيعها»[(٢)].

وقد سعيت جاهدًا في خدمة الكتاب وتوثيق المعلومات التاريخية المذكورة في الترجمة بالرجوع إلى المصادر الأصلية التي نقلت منها.

وينبغي أن يُعلَم أني لم أقصد بعملي هذا الانتصار للدولة السعودية لذاتها، إنما قصدي -كما هو قصد كل مسلم محب لهذا الدين- الانتصار لعقيدة سلف هذه الأمة، والتي حمتها هذه الدولة السعودية المباركة، والتزمت بها، وبذلت الأموال الطائلة لنشرها، فلا يقولن جويهل عني: إنما أنت وهابي، أو يقول: إنما أنت تريد أن تسعود الدعوة، أو أن تسعود بلاد الإسلام، ولعلَّه يقول آخر أجهل: إنما أنت عميل للمخابرات السعودية...إلخ هذه الترهات السمجة.

---

(١) ونسأل الله سبحانه أن يوفق خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبد الله بن فهد آل سعود وحكومته السنية إلى تطبيق هذه السياسة الشرعية الرشيدة لجدهم الإمام عبد العزيز -رحمه الله-، فيفرضون العقوبات الشرعية على أصحاب الأهواء والبدع من قطبية وإخوانية وسرورية وتبليغية؛ حتى ينزجروا ويكف شرهم عن بلاد التوحيد.

(٢) نقلت هذه التتمة من مجلة السلفية- العدد الرابع- عام ١٤٢٠-١٤٢١ «مصلح القرن الملك الداعية السلفي: عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.. رؤية دعوية وإصلاحية» بقلم رئيس التحرير الشيخ موسى بن عبد الله آل عبد العزيز.

ونقول جوابًا على هؤلاء الجهال: وهل كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وهَّابية؟! وهل كان السلف الصالح سعوديين أرادوا سَعْوَدة الدعوة -أو فرض النموذج السعودي في الحكم على بلاد الإسلام-؛ لأنهم دعوا إلى التوحيد الصافي من الشرك، وإلى السنة الصافية من البدعة، وحذَّروا من فرق أهل البدع وأحزاب الأهواء من خوارج وشيعة وجهمية وقدرية ومرجئة ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية وصوفية ؟!!

وهل كان مالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة أتباعًا للمخابرات السعودية لما دعوا إلى العقيدة السلفية؟!!

ولكن ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

ونقول لهم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أسأل الله العلي الكريم العزيز أن يجزي عبده: عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل خير الجزاء عن هذه الأمة على تطهير مكة والمدينة ونجد كلها من الشرك والبدع، وعلى ما نشره من العلم النافع، وعلى تأمين الحرمين الشريفين بعد أن كانا مرتعًا للفتن وسفك الدماء سنوات طويلة قبل تولي الإمام عبدالعزيز عليهما.

اللهم اغفر له، وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبة في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونوِّر له فيه.

وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكتب

أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان المصري

في القاهرة ليلة الثلاثاء ١٧ ربيع الأول ١٤٢٩

* * * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله العليم الحكيم، مالك الملك ذي الجلال والإكرام، يؤتي الملك بحكمته من يشاء، وينزع الملك مِمَّن يشاء، ويُعزُّ مَن يشاء، ويُذل مَن يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبد الله ورسوله، إمام المهتدين، وخير أسرة للحكام المصلحين، وأفضل قدوة للأئمة العادلين، ونبراس الهداية الصادقة للولاة المحسنين، وأكرم داع إلى الصدق والإحسان في العمل فإن الله يُحبُّ المحسنين، وإن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملاً.

أمَّا بعد:

فإني أتقدم إلى إخواني المسلمين بتلك الباقة الكريمة مقتطفة من رياض سيرة الإمام العادل، والحاكم المصلح، والوالي المُحسن، جلالة الملك عبد العزيز بن الإمام عبد الرحمن آل فيصل آل سعود -مَدَّ الله في حياته المباركة الصالحة، وأدام عليه سوابغ العافية، وأيَّده بروح من عنده، وجعل من أنجَاله أصحاب السمو الأمراء الكرام قرة عين لِجلالته وللعروبة والإسلام، وعلى رأسهم حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهده الأمير سعود المعظم -حفظه الله-.

دعاني إلى تقديم هذه الباقة الكريمة مناسبة احتفال المملكة العربية السعودية في يوم الرابع من شهر شوال من شهور سنة تسع وستين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية بذكرى مرور خَمسين عامًا مضت على دخول جلالة الملك عبد العزيز آل

سعود المعظم إلى الرياض مع صحبه الأربعين من الأبطال الأمجاد، وكان ذلك أول حجر أساسي وضعه عبد العزيز بهداية ربه القوي العزيز وتوفيقه في بناء المملكة العربية السعودية، وما زال الله القوي العزيز سبحانه يمد عبده ويُعطيه من الأسباب، ويُتيح له من الفرص، وعبد العزيز يضع حجرًا فوق حجر، بِمنتهى السداد والحِكْمَة والرشاد، حتى كان هذا البناء الضخم الشامخ للملكة العربية السعودية، بناء أُسِّس على تقوى ورضوان، وملك قام على إخلاص الدين لله، وإحياء العمل بشرائع الإسلام، التي أكملها الله وأتم بها النعمة ورضيها لعباده دينًا قيمًا وإرجاعها إلى مكانها من القلوب والنفوس ونفاذ السلطان، ثم ما يزال هذا البناء آخذًا في السمو والعلو، مادام قائمًا على هذه الأسس والأركان.

١) وإني لأقصدُ -أولاً وبالذات- أن أقيم للمسلمين مثلاً صادقًا من الإمام عبد العزيز آل سعود، وسيرته التي بلغ بها هذا الشأو العظيم، وها هو لا يزال يصعد على مراقي الكرامة، حتى يكون -بعد عمر طويل إن شاء الله- مع الأبرار في عليين.

٢) ذلك أن المسلمين اليوم بأشدِّ الحاجة إلى المُثل العليا من المؤمنين، والقُدوة الصالحة من الأئمة العادلين، ينفعهم السير على هُداهم، والاقتباس من أضواء سيرتهم، ويدفعهم في سبيل الحياة الإسلامية الشرقية الطيبة العزيزة على هدى وبصيرة، فيبلغون ما يريدون من عز الدنيا، وفلاحها، وغناها وملكها، والفوز في الآخرة بِمغفرة من الله ورضوان وجنات عرضها السماوات والأرض أُعِدَّت للمتقين.

٣) فإنهم حين حرموا الانتفاع بهذه المثل العليا من الأئمة العادلين والقدوة الحسنة من المؤمنين الصادقين زَيَّن لهم الشيطان أن يولوا وجوههم شطر الفرنجة يتلمسون عندهم القدوة والمثل العليا؛ فزاغت قلوبهم وضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، وفي الحياة الدينية، وعرف الفرنجة منهم ذلك وحذقوه، فاستغلوه شر استغلال، وقاموا به سادة مستعمرين مستغلين لأولئك الشرقيين الذين عموا وصموا عن آيات الله ونعمه، وعن مثلهم العليا التي أقامها لهم ربهم من خيرة المحسنين، وهداة الأئمة

العادلين سلفًا وخلفًا، وصدق رسول الله ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك»[1].

٤) ألا ليت المسلمين يدرسون دراسة جيدة سير أئمة الهدى، وقادة الإسلام الصادقين الراشدين -من رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين والصحابة والذين اتبعوهم بإحسان- كما يدرسون سير الفرنجة، وغيرها مِمَّا قام اليوم سدًّا منيعًا بين المسلمين وبين طريق الهدى والرشاد في الدنيا والدين، ألا إن المسلمين لو ولوا وجوههم شطر الصور الإسلامية الصادقة، وحدقوا عيون بصائرهم فيها بحيوية يقظة لأفادوا واستفادوا ولتهيأت لهم أسباب النجاح، كما تهيأت للإمام عبد العزيز، ولبلغوا كل ما يريدون ويبتغون من العزة والقوة، كما بلغ عبد العزيز؛ وإنها وربك السنن ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الفتح: ٢٣]. وإنه للرب الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، لا يخيب أبدًا من رجاه وأخذ السبيل إلى رجائه على هدى الإيمان وبصيرة السنن والآيات الكونية، ولا يخذل من وثق به واعتمد عليه مؤمنًا بآياته وسننه الرشيدة الحكيمة، آخذًا في كل شأن بما أعد الله وهيأ له من أسباب ومقدمات ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: ١٧].

٥) لم يكن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود إلاَّ عبدًا من عباد الله، بغى الظالمُ على حقِّه فاغتصبه، واضطر والده عبد الرحمن أن ينجو بنفسه وولده من بغي هذا الظالم.

٦) خرج عبد العزيز إلى هذا الوجود، وداعي الفلاح ينادي (الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة حي على الفلاح، الصلاةُ خير من النوم) إعلانًا من حيث لا يَحتسب الناس، أن هذا المولود ستعلو

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان، وبنحوه أخرجه الشيخان من حديث المغيرة ابن شعبة بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون»، وأيضًا أخرج مسلم من حديث جابر مرفوعًا: «لا تزالُ طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة».

كلمة الحق على لسانه، وسترتفع راية التوحيد على ساعديه، وسيصحو الناس من غفلتهم الطويلة على دعائه، ويعودون مؤمنين أوثق الإيمان: أن (الصلاة خيرٌ من النوم).

٧) ما كاد العقد الأول من حياة عبد العزيز ينقضي في تربية أبيه له، وقد كان كل همه أن ينشئ عبد العزيز وإخوته أبطالاً أشداء، يَحملونَ من بعده تبعة جمع كلمة العرب وإعادة مَجدهم بإعلاء كلمة الله، فتعود عبد العزيز من طفولته على الصبر واحتمال المكاره، يُجيد الضرب بالسيف، والرمي بالبندقية، وركوب الجياد، ويسافر الأسفار البعيدة الشاقة في غير ضجر ولا سأم، فتى سريعًا، طويل القامة عظيم الهامة، عريض الأكتاف، مفتول العضلات مُمتلئًا نشاطًا وقوة، يتربص حلول ما تتحدث به أهل الرياض من غزو آل الرشيد للرياض، فلم تلبث أن وقعت الواقعة، وعبد العزيز في طريقه إلى تمام العاشرة من حياته[1].

٨) فكان هذا الظلم والبغي والتشريد عن الوطن أول جرس أيقظ في نفس عبد العزيز حساسية الحياة وعناصرها القوية، ثم أخذت هذه الحساسية -وقد هيأ الله لها الظروف والأسباب أن تبقى على يقظتها- تنمو وتتسع آفاقها في أناة وتؤدة، على جرس الحوادث، وأصوات ومظاهر سنن الله وآياته، حتى بلغت ما بلغت، ووصل عبد العزيز على معارج أسبابها أن كان اليوم -ملء أسماع الدنيا وأبصارها كلها- (جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، ملك المملكة السعودية) الضخمة الشامخة، الغنية بمعنوياتها ومادياتها الغنى العظيم الذي يرمقه ملوك العالم وقادته بعيون الإجلال والإكبار، أو بعيون الحقد والحسد، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

٩) إن حياة هذا الإمام العادل تتلخص في إحدى كلماته الجامعة، التي يرسلها

---

(١) قال خالد الفرج في «الخبر والعيان في تاريخ نجد» (ص٣٦٥): «نشأ وهو يرى الناس شاكي السلاح وعليهم لأمة الحروب التي كانوا لا يخرجون منها إلا ليعودوا إلى غيرها، فألف تلك المناظر ونزع نزعتها، والطفل ميول إلى ما يألفه، وأراد محاكاتهم -ومن طبيعة الطفل المحاكاة- فقلدهم في لبس السلاح، وقد تكون لأمته بحسبما يسمح بها سنه القليل ويتحملها جسمه الصغير...». اهـ

علىٰ سجيته الفطرية السليمة، فتخرج آية حكيمة، تخبرك أن منبعها قلب ما زالت العبرة والحوادث تمد في آفاقه حتىٰ كان حقل الحياة العصرية بكل شئونها، وامتازَ بأنه استطاع في أيْسَر يُسْرٍ أن يصبغها بصبغة الله الإيمانية الإسلامية، فكانت آية الآيات، وروضة الجنات.

١٠) إنه يقول في كلمته التي تعطيك نموذج سيرته وحياته:

«إن الأمر لله، وما تشاءون إلاَّ أن يشاء الله، والأيام كلها عبر للمعتبرين».

نعم، وما أروعها من كلمة، وما أجمعها لكل حكمة، وما أضوأها لسبيل من يريد السعادة والحياة العزيزة الطيبة، وما أصدقها من هاد إلى بلوغ هذه الحياة العزيزة الطيبة.

١١) آمن عبد العزيز الإيمان الوثيق «أن الأمر لله» فهذا ملك آبائه قد أخذه آل الرشيد غصبًا، وها هم أولاء يدخلون بيوت الرياض من غير أبوابها[1]، فما أبواب الرياض إلاَّ «إخلاص كلمة التوحيد، وإقامة الحكم بِما أنزل الله» وحب أهل الرياض ورضاهم، وها هم آل السعود يضطرهم بغي أولئك الظُّلمة أن يفروا تحت جنح الظلام يضربونَ في بيداء الأرض يطلبونَ المأوىٰ حتىٰ يشاء الله، وها هي عبر تلك الحوادث في تلك الأيام الأولى تقوم في ألوانها المختلفة ماثلة بأوضح مجاليها في نفس عبد العزيز، وها هو يُمعن النظر إليها ويرهف السمع إلى أجراسها، فإذا به يسمعها بضميره وقلبه تقول له بلسان حالها: «إن الله -الذي بيده الأمر كله- ليس بغافل عما يعمل الظالمون، وإنه بحكمته ورحمته لا يرضىٰ بظلم الظالمين، فلقد حَرَّم الظلم علىٰ نفسه، وجعله بين عباده مُحرمًا، وإنه لابد أن يُعيد الحق إلى أهله، ويرد كيد الباغي في نَحره، ولكن له سننًا وأسبابًا ومقدمات تنتهي إلى نتائجها، كما ينطق

(١) قال خالد الفرج في «الخبر والعيان في تاريخ نجد» (ص٦٧): «سأله الشيخ عيسىٰ: أقطر أحسن أم البحرين؟ فأجابه علىٰ الفور: الرياض أحسن منهما!». والشيخ عيسىٰ هو ابن علي آل خليفة حاكم البحرين، والمسئول هو الإمام عبد الرحمن. قال خالد الفرج: «قال الشيخ عيسىٰ: فعلمت أنه سيكون لهذا الغلام شأن وهكذا كان».

بذلك كتاب الوجود في كل صفحة من صفحاته، وينطق بذلك كتاب الوحي والهدى والفرقان في كل آية من آياته، فخذ في الأسباب، واسلك سبيل المقدمات واحدة تلو واحدة، معتمد على ربك الذي بيده الأمر كله، ومشيئته الحكيمة غالبة على كل مشيئة، فستكون العاقبة لك، والنصرُ حليفك، والعاقبة للمتقين ولو بعد حين.

١٢) هكذا نشأ عبد العزيز تلميذًا يقظًا كل اليقظة، نابهًا كل النباهة في مدرسة الحياة الواقعية بحوادث أيامها وعِبرها، وألقى بنفسه وقلبه مصغيًا إلى دروسها الحكيمة كل الإصغاء، فتخرج منها الإنسان الكريم، والرجل العظيم، والمسلم الصادق، الذي يعرف لربه حقه بالليل، فيتجافى جنبه عن المضجع يدعو ربه خوفًا وطمعًا، وبالنهار يَمتطي جواده ويمتشق حسامه، ويطير كالريح ومن حوله «صبيان التوحيد، إخوان من أطاع الله»، يبدد ظلمات البدع والخرافات، ويُحطم طواغيت القبور الوثنية، والعادات والتقاليد الجاهلية، ويُردد الأفق صدى دعوته المدوية «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله لا نعبد إلاَّ إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم ولا الضالين» حتى أرز الإسلام إلى الجزيرة، وعادت البلاد المقدسة إلى شأنها الأول مشرقًا لشمس الإسلام، ومثابة للناس وأمنًا.

١٣) آمنَ عبد العزيز أوثق الإيمان «أن الأمر لله»، وأن الله يُعطي مِنْ هذا الأمر مَنْ يشاء ما يشاء، وأنه سبحانه غير غافل عمَّا أعطى وعمَّن أعطى، فإنه العليم الحكيم، الرقيب الشهيد الحسيب، فحاسب عبد العزيز نفسه بكل دقة وتشديد على كل ما أعطاه الله العليم الحكيم حاسب نفسه على زمانه، فما ذهبت منه ساعةً في لهو ولا لعب، بل كلها في العمل الجاد النافع الصالح المنتج لخير الدين والدنيا، حاسب نفسه على ماله، فوضعه حيث أحب الله من «ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين، وفي الرقاب، والغارمين وفي سبيل الله»، عتادًا للحرب، وارتباطًا

للخيل، وتأليفًا للقلوب، ونشرًا للكتب السلفية، وبثًّا للعلوم والمعارف، وإنشاء وتجديدًا وتعميرًا في البلاد، من النواحي الزراعية والمعدنية والصناعية والتجارية والعمرانية، حاسب نفسه أدق الحساب على ما أعطاه ربه العليم الحكيم الرقيب في الرعاية لهذه الرعية، فاستخارَ ربه واستشار من يثق في صدق إخلاصهم في كل من وَكَل إليه أمرًا من أمور هذه الرعية، من وزير وأمير، وقاض عامل، وجندي، وأعلن في الجميع «هذه أمانة الله وضعها في عُنقي، قد نصحتُ في أدائها جهد طاقتي وقدر استطاعتي، فاخترتكم لتحملها، والقيام بأدائها بمثل ما قمت به من النصيحة ومراقبة الله، اللهم اشهد يا رب، وإني بريء من كل مضيع لِهذه الأمانة، أو متهاون في القيام بأدائها على ما يُحب الله ويُرضي»(١)، ثم يدعو ربه «اللهم هذا جهد طاقتي، ومبلغ علمي، وأنت بعد أرحم الراحمين».

١٤) فهو لذلك يعيش عيشة فطرية بسيطة كل البساطة في جميع شئونه، في لباسه، في طعامه، في شرابه، في مجلسه، في كلامه وخطبه، في معاملته لرعيته، ومعاملة رعيته له، يقول: «كبيرهم عندي والد، وأوسطهم أخ، وصغيرهم ابن»، يوقر الكبير ويرحم الصغير، ويعرف لكل ذي حق حقه وبالأخص أهل العلم، فهو يُجلهم ويضعهم في أعلى مكانة وأرفع مَجلس، وهو يربط دائمًا مشيئته بمشيئة الله، فلا يمكن أن يُقْدِم على أمر إلاَّ إذا استشار أهل العلم في كل شأن، ثم يستخير ربه على هدى رسول الله ﷺ، ثم يتأنى ولا يتقدم حتى يُهيء الله الأسباب، فيعلم بذلك مشيئة ربه وحُسن اختياره له، فيسير حتى الغاية، أكسبه تخرجه في مدرسة الحياة الكونية بحوادثها وعبرها صفات كريمة، قلَّ أن توجد إلاَّ في السلف الذين تخرجوا في مدرسة الحياة كذلك.

---

(١) يا ليت سفر الحوالي، وسلمان العودة، وعائض القرني، ومن سار سيرهم يتعظون بهذا الدعاء الجليل، بعد أن قلبوا رأس المجن لآل سعود، وآل الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رافعي راية التوحيد-، وتعلقوا بأستار آل قطب -رافعي راية البدع والحزبية-.

١٥) فهو صبور أطول الصبر، حليم أوسع الحلم، كريم حتى يقول القائل: إن المال لا قيمة له عنده، شجاع أصدق الشجاعة، حتى لكأن الموت يهابه، قوي الإرادة صادق العزيمة، حتى لتزول الجبال ولا يتحول عما اعتقده حقًّا ومصلحة، ذرب اللسان(١) حاضر البديهة، حتى ليخطب الساعة والساعتين، لا يتلعثم ولا يتعتع، كأنما يمتح من بحر خضم بالمعاني والمقاصد التي يريدها، ذكي فطن أدق فطنة، حتى لينظر إليك النظرة الواحدة فيبعثر له كل ما في نفسك ويحصل له من مقاصدك وغايتك ما يُحب أن يعرف، وإنها لفراسة المؤمن بسنن الله وآياته.

رقيق القلب رحيمه إلى درجة تأخذك منها الدهشة، تتجلى هذه الرّقة والرحمة في عطفه وحنوه على صغار بنيه وأحفاده، كما كان يصنع رسول الله ﷺ مع سبطيه الحسن والحسين، ويتجلى لين قلبه ورقته حين يتلو آيات الله أو يسمعها خاشعًا مقدسًا، وحين تكون العظة والذكرى من حادثة، فحينئذٍ يوجل قلبه وتفيض عيناه بالبكاء، ويهز القلوب هزًا قويًا تهبط به من خشية الله، ويوقظ المشاعر والأحاسيس الإيمانية، فتسرع مخبتة وجلة خاشعة لذكر الله.

١٦) وهو يؤمن بسنن الله الكونية أوثق الإيمان، فهو لذلك يعلم أن القلب كالأرض إن أهملت بدون رعاية وتفتيش نبتت فيها النباتات والحشائش الطفيلية، وأن الإيمان كالغرسة إن لم يتعاهد بالسقي والعناية ذبل ويبس، ثم يَموت، فهو لذلك حريص أشد الحرص على ورده من القرآن، وما صح عن رسول الله ﷺ، وهو حريصٌ أشد الحرص على مدارسة التفسير والحديث والسيرة كل ليلة حضرًا وسفرًا، وهو قوي التحصيل سريع الفهم، يُدرك بسرعة العبرة مما يسمع، فيتخذ منها درسًا قويًّا بالتعليقات والشواهد للحاضرين بما يناسب الوقت والأمر الذي يقصد إليه.

---

(١) في لسان العرب (٥/ ٣٠): «ذرب: الذَّرِبُ الحادّ من كلِّ شيء، وذَرَبُ اللسان حدته، وقيل: الذرب اللسان الشتَّام الفاحش». اهـ

قلت: والمتبادر بلا شك في حق الملك عبد العزيز شق المدح في معنى ذَرب، فكان حادًا أي قويًّا شجاعًا مقدامًا، لا يخاف في الحق لومة لائم.

١٧) تحضرني دائمًا شخصية وسيرة الملك ابن سعود وقصة حياته، كلما تلوت الآيات من سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿.....ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦، ٢٤٧].

فهذه القصية شبيهة من جميع النواحي بقصة ابن السعود وآله، فآل سعود أنصار التوحيد قد خرجوا من ديارهم، وهم قد اختار الله لهم عبد العزيز، وكانوا غير راضين عن اختياره، وهو قد آتاه الله بسطة في العلم بشئون الحرب، وأسباب الحياة والقوة والانتصار على الأعداء وغير ذلك مما يَحتاجه الملك الذي أقامه الله لعبد العزيز، وهو قد آتاه الله بسطةً في الجسم حتى لقل أن ترى أشباهه من الرجال ليس في الشكل طولاً وعرضًا فحسب، بل وفي الوقار والهيبة وسمات البطولة والشجاعة وقوة البأس تقرؤها من حركاته ومن مشيته وفي نظراته، ونبرات صوته.

وهو دقيق في اختيار رجاله وامتحان قوة إيمانهم بالتبعات التي سيسألونَ عنها أمام الله سبحانه، وقوة صبرهم على تحمل الشدائد، والقيام بأعبائها، وصدق عزائمهم في الوقوف بالنفس عند حد الله والعزوف عن طاعة الهوى والنفس الأمارة، كما امتحن طالوت رجاله بما ابتلاهم الله من النهر في طريقهم.

١٨) ولقد توزعت هذه الخلال العظيمة، وأسباب البطولة والنجاح في بنية أصحاب السمو الأمراء الكرام، وأبرزهم في ذلك وأوفرهم منها حظًّا: حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود ولي العهد المعظم -حفظه الله- والذي بويع له بولاية العهد في (١٦) محرم سنة (١٣٥٢ هـ).

١٩) ولكي تعرف آثار الإصلاح والعدل والرحمة في عصر الإمام العادل عبد العزيز -حفظه الله-، أضع أمامك صورة مصغرة لماض الحجاز وحاضره، وبضدها تتميز الأشياء.

* * * *

حاضر الحجاز في العهد السعودي وماضيه

٢٠) كانت الدولة العثمانية حين قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته، في غاية الخلل والانحلال، واضطراب حبل الأمن في ولاياتها ووهن عناصر القوة فيها[١]، وكان من آثار هذا الوهن أنها لا تولِّي -في الغالب- وظائف الدولة وإمارة الولايات إلاَّ لمن يدفع الرشوة ثمن ذلك لمن بيده الأمر، وربما يكون الأمر في كثير من الأحيان بيد جهلة المتصوفة، أو بعض أشياعهم الخاضعين لنفوذهم، فيكون من أثر هذا أن تُسند الأمور والولايات إلى غير أهلها، فضلاً عمَّا كان عليه كثير منهم من انحلال الأخلاق بانحلال عرى الدين عن نفوسهم وقلوبهم، فكان الوالي إذا حل في وظيفته لا هَمَّ له إلاَّ إشباع نفسه الشرهة، بالشهوات والملذات البهيمية، ومن أموال ودور وعقار، يأخذها غصبًا، ويدفع ثمنها لمن يطلبه سياطًا على الظهور والجنوب، وكم أصيبت مصر وأهلها بالكثير من هذا الأذى[٢]، مما ألجأ المصريين إلى انتخاب محمد علي باشا واليًا على مصر، لَما توسموا فيه من الخير لمصر والعقل والسياسة، والقوة، والحزم، وحبِّ الإصلاح والعمران[٣].

(١) وهذا بخلاف حال الدولة في مجدها الأول لما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية. وانظر الجانب الأمجد الأسعد للدولة العثمانية في «قلائد العِقيان في فضائل سلاطين بني عثمان» لمرعي بن يوسف الكرمي (ط غراس).

(٢) انظر: «التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية» لمحمد بن أبي السرور الصديقي البكري، دار الكتب والوثائق القومية (١٤٢٦هـ).

(٣) يذكر لنا محمد فريد بك في كتابه «البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية» تاريخ دخول محمد علي إلى مصر، وكيفية اختياره واليًا عليها، فقال كما في (ص٣٢): «لما احتل الفرنساويون مصر تحت قيادة بونابرت في سنة (١٧٩٨م) أرسل الباب العالي -أي: الخليفة العثماني- إلى الأقاليم والبلدان جميعها بتجهيز الجند لإخراجهم منها، وطلب أيضًا من حاكم

٢١) فقامت الدولة وقعدت، وأرغت وأزبدت، فلم يعبأ محمد علي بهم، ولم يعرها المصريون اهتمامًا، وتمنوا لو أنهم تخلصوا مرة واحدة من هذه التبعية التي طالما جرت على مصر الدمار والخراب.

٢٢) وأخذ محمد علي باشا سبيله في إصلاح مصر، وتنظيم جيشها، واستثمار

=

(برواستا) ثلاثمائة جندي فجمعهم، وجعل ولده «علي أغا» قائدًا لهم، ومحمد علي باشا قائم مقام له». ثم حدثت مناوشات بين الجيوش العثمانية والفرنسيين، انتهت بخروج الفرنسيين، وتعيين الدولة العلية خسرو باشا واليًا على مصر في (١٢) جمادى الأولى سنة (١٢١٦هـ)، (٢١) سبتمبر (١٨٠١م)، بعد خروج الحملة الفرنسية بأيام، وكان بمصر إذ ذاك أربعة آلاف من الجنود الأرنؤد، منهم فرقة تحت قيادة محمد علي باشا.

وبعد حدثت اضطرابات ومناوشات بين الأرنؤد تحت قيادة الوالي، والمماليك، انتهت بتخريب جزء عظيم من القاهرة، وهروب خسرو باشا إلى دمياط، وتولى بعده طاهر باشا الذي ما لبث إلا أن عصاه الجند خصوصًا الانكشارية لعدم صرفه مرتباتهم، وصرف مرتبات الأرنؤد، وانتهى الأمر بقتل طاهر باشا.

وتحصن محمد علي مع الأرنؤد بالقلعة، ثم لما استجمع محمد علي قوته سلّط الأرنؤد على الانكشارية، فأعملوا فيهم السيف، فلم ينج منهم إلا من تمكن من الهروب.

قال محمد فريد في كتابه (ص٣٥) حاكيًا عمّا صنعه بعد الأرنؤد العثمانيين: «ثم أطالوا أيديهم إلى الأهالي، وتعدوا عليهم بالأذى، وتفرقوا في النواحي، وأكثروا من النهب خصوصًا في الوجه البحري...». ثم قال: «أما الأرنؤد فارتكبوا من أنواع السلب والنهب وغير ذلك ما يعجز عن وصفه الواصفون، ويكل عن إحاطته العالمون».

وفي خلال هذا وبعده، أخذ يسرد محمد فريد ما ذكره المؤرخون من حدوث المآسي لأهل مصر سواء من الوالي وجنوده من انكشارية أو الطائفة التي تُسمى بالدلاة، أو من المماليك، أو الأرنؤد، ولذلك سُميت هذه الفترة من تاريخ مصر التي أعقبت خروج الفرنسيين إلى استتباب الأمر لمحمد علي كوالي مستقل على مصر بـ(عصر الفوضى)، ومن الوثائق الهامة التي أرّخت لهذه الفترة، الوثائق الإيطالية والتي جمعها وأعدها (أنجلوسا ماركو) وقامت على ترجمتها وتحقيقها دار الكتب والوثائق القومية المصرية، تحت عنوان: «دولة محمد علي في الوثائق الإيطالية غير المنشورة»، وطبع المجلد الأول منها بعنوان: «مصر في عصر الفوضى» (يوليو ١٨٠١- يوليو ١٨٠٤م).

• وللمزيد أيضًا من التفاصيل حول هذه الأحداث المؤلمة التي مرّت بأهل مصر في تلك الحقبة التي أشار إليها الشيخ حامد الفقي أعلاه، راجع: الجزء الثالث من «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن الجبرتي، والذي تضمنته الأجزاء (٥، ٦) من تجزئة، طبعة الهيئة العامة لدار الكتب، ضمن مشروع مكتبة الأسرة.

أراضيها وخيراتها، وإعدادها لتكون دولة عظيمة كشأنها في الأعصر الماضية، وواتاه الحظ، بما وجد في نفوس المصريين من التعطش لما يدعو إليه، بعد ما احترقت قلوبهم من امتصاص الولاة الترك دماءهم وأموالهم.

٢٣) سار محمد علي باشا في سبيله بجد ونشاط لا يعرفان الكلل ولا السآمة، وقضى على كل مخلفات ولاة الأتراك من الرشوة، والاغتصاب والظلم وانتهاك الحرمات، فسارت مصر إلى الرقي المادي بخطى واسعة حتى تبوأت مكانة، خافتها الدولة العثمانية، وخشيت من تقدم الوالي الداهية محمد علي المطرد في سبيل المجد والعظمة[1].

٢٤) وكان الحجاز أشقى من مصر، وأتعس حظًّا، إذ كانت الدولة تعتبرها منفى لكل وال، أو موظف، أو ضابط، اشتهر من أعماله وأخلاقه ما يضج منه العباد والبلاد، فأين تذهب به؟ وأي البلاد ترميها بهذا الأثيم؟ الحجاز المسكين، البلاد المقدسة التي جعلها الله مثابةً للناس وأمنًا، فإذا ما حط رحله في الحجاز -وهو يعتقد أنه جيء به إلى المنفى للانتقام منه- أخذ يأتي من أنواع فساده وضروب شره، ما كان من نتائجه الذي تسامع به الناس كلهم، أن مكة منتشر فيها الأمراض السرية، من السيلان والزهري وغيرها من ثمرات الفسق والفاحشة، مما أمسك قلمي ولساني عن الخوض فيه، وكان فيها من أنواع التهتك في الملاهي والخمور ما يدهش الإنسان عندما يسمع حكايته ممن شهدوه في عهد الأتراك من كبار الأسنان.

٢٥) كان هذا شأن ولاة الأتراك في الحجاز إلا القليل النادر جدًّا من بعض الولاة الصالحين الذي يعدهم الحجازيون على أصابع يد واحدة أو أكثر بقليل، وإلى جانب هؤلاء الولاة المفسدين من الأتراك يأتي الأشراف الذين كان أكثرهم مُنشأً في

(١) لكن ثَمَّ جانب آخر من السلبيات أغفله الشيخ حامد -رحمه الله- نحب أن ننوه عليه حتى لا يغتر القارئ بالمدح المطلق في الكلام أعلاه، وهذه السلبيات أشار إليها عبد الرحمن الجبرتي في الجزء الرابع من «عجائب الآثار» (ج٧، ط مكتبة الأسرة)، حيث أرّخ فيه الستة عشر عامًا الأولى من حكم محمد علي.

الأستانة، أو ما شابهها في المدنية، والذين كان أكثرهم لا يُحسن إلا التعاظم بالأنساب، والتفاخر بالآباء والأجداد، ينظرون إلى الناس كأنهم جميعًا عبيد لهم، وكل ما ملكت أيديهم فهو حق للشريف يأخذ منه ما يشاء فكم كان لهؤلاء أيضًا من أذى وفساد ونهب واغتصاب للأموال والأعراض، وانتهاك للحرمات، إلا ما شاء الله من القليل الذي كان يخاف الله ويتقيه.

٢٦) كان هذا في الحجاز سببًا عظيمًا مهد الله به للسعوديين الموحدين العادلين دخول الحجاز سنة (١٢١٨هـ)، كما مهد أيضًا لهم ظلم الحسين بن علي، واستبداده وغطرسته وجهله في إدارة الشئون في دخولهم إيّاه سنة (١٣٤٣هـ).

٢٧) كتب الإمام سعود بعد دخوله مكة إلى السلطان سليم العثماني الكتاب الآتي: «من سعود إلى سليم، أما بعد: فقد دخلت مكة في الرابع من المحرم سنة (١٢١٨هـ)، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هناك من أشباه الوثنية، وألغيت الضرائب، إلاً ما كان منها حقًّا، وثبّت القاضي الذي وليته أنت طبقًا للشرع، فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والطبول والرموز إلى هذا البلد المقدس، فإن ذلك ليس من الدين في شيء وعليك رحمة الله وبركاته».

٢٨) ويقول المؤرخ النجدي ابن بشر -رحمه الله-: «شهدت سعودًا وهو راكب مطيته محرمًا بالحج، ونحن مُجتمعون في نمرة لصلاة الظهر والعصر، خطب فوق ظهرها خطبة بليغة وعظ الناس فيها وعلّمهم المناسك، وذكّرهم ما أنعم الله عليهم من الاعتصام بكلمة لا إله إلا الله، وما أعطى الله في ضمنها من الاجتماع بعد التفرُّق، وأمان السُبل، وكثرة الأموال، وانقياد عصاة الرجال، وأن أضعف ضعيف يأخذ حقّه كاملاً من أكبر كبير من مشايخ البوادي، وأعظم عظيم من رؤساء البلدان، ونادى وهو على ظهرها: لا يحمل في مكة سلاح، ولا تتبرج امرأة بزينة، وتوعد من فعل ذلك من جميع رعيته، وجعل في الأسواق وقت الصلاة رجالاً يحضون الناس عليها، فلا تجد

فيها وقت الصلاة متخلفًا إلاَّ نادرًا، ولا تَجدُ في الأسواق من يشرب التنباك ولا غيره من المحظورات إلا ما لا يرى ظاهرًا»[١].

٢٩) هذا هو دستور آل سعود في حكمهم الأول للحجاز، وهو دستورهم أيضًا في حكمهم الثاني لم يتغير، فإذا ما قارنا بين ولاية الأتراك والأشراف، وبين ولاية السعوديين لظهر لنا ما كانت تجره الأولى وراءها من مظالم، وأكل لأموال الناس بالباطل وانتهاك لحرمات الأعراض، وما يتبع ذلك من تمرد العربان وانتشار قُطّاع الطرق في كل مكان وقسوة بالغة في معاملة الحجاج، واستهانة بأرواحهم ودمائهم، دع عنك شيوع الجاهلية، وعقائد الوثنية وإضاعة الصلاة، ومنع الزكاة، وتعدي الحدود، وغير ذلك مِمَّا قضى أخيرًا على الدولة العثمانية نفسها.

٣٠) أين هذا من حكم السعوديين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإقامتهم لحدود الله بلا تهاون ولا تراخ، ونشرهم نور الله وبثهم المعارف في كل مكان يحلون فيه، حتى البادية، وإيقاف كل واحد عند حده، لا يتعدى على غيره في مال ولا نفس ولا عرض، والضرب على أيدي المفسدين بعصا الإسلام الرادعة الزاجرة، حتى أصبح الحجاز مضرب المثل في الأمن والاستقامة على صراط الله القويم، وحتى دبت فيه روح الحياة العلمية والعمرانية القوية في كل مرافق الحياة بنشر العلوم والمعارف، وأخذ أهله في ظل هذا الاطمئنان ينشطون بذكائهم الفطري في القيام بالأعمال المثمرة، من صناعات وتجارات وزراعات وغيرها.

٣١) حكى الأستاذ أمين الريحاني عن (بركهارت السويسري) الذي دخل مكة

---

(١) وممَّن أشار أيضًا إلى بعض مآثر حكم الأمير سعود، وأشاد بها، ودافع عن هذه الدولة المباركة، وبارك قيامها: المؤرخ المصري الجبرتي، فقال كما في «عجائب الآثار» (٧/ ١٤١) في حوادث سنة (١٢٢٣هـ) شهر ذي الحجة: «ومنها -أي: من الأحداث- انقطاع الحاج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج، والحال ليس كذلك، فإنه لم يمنع أحدًا يأتي إلى الحج على الطريقة المشروعة، وإنما يمنع مَن يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل: المحمل، والطبل، والزمر، وحمل الأسلحة...». اهـ

قلت: وهذا من إنصاف الجبرتي -رحمه الله- وميله للسنة.

يوم كان الأمير محمد علي باشا بها سنة (١٢٣٠هـ)، أنه قال: «ما شعرتُ في مكان آخر بمثل الطمأنينة التي كنتُ أشعرُ بها وأنا في مكة»، ولكنه لم يجهل أو يتجاهل ما اشتهر به المكيون والترك يومئذٍ من قبيح العادات والتقاليد، فذكرها في كتابه كلها، وقد قال في كلامه عن الوهابيين: «إنهم حقًّا جاءوا يُطهرون الحجاز»، ثم قال: «وما الوهابية إذا جئنا نصفها: غير الإسلام في طهارته الأولى، وإذا ما جئنا نبين الفرق بين الوهابيين وبين الترك مثلاً، فما لنا إلا أن نعد الخبائث التي اشتهر هؤلاء بها».

٣٢) جاء الوهابيون يطهرون الحجاز، نعم، إنهم طهروه مما كان قد لوثه به ولاة الأتراك المنفيون إليه، ولكن شاء الله أن لا يطول عهد السعوديين في المرة الأولى في الحجاز، فخرجوا منه في سنة (١٢٢٨هـ)، وكان عليهم من الكائنات والأحداث ما عزاه كثير من علمائهم -ومنهم ابن بشر- إلى افتتانهم بالدنيا حين اتسعت عليهم، ودرت عليهم المال الكثير، وتراخيهم في تعليم الرعية الدين الصحيح من القرآن والسُّنة وانشغالهم عن ذلك بما فتنوا به، وحين اختلطوا بالحواضر وامتزجوا بأهل المدن، فسرى إليهم من عدواهم، فانتقم الله منهم بما صار عليهم من الدمار والنكال، ونسأل الله لنا ولهم العافية من ذلك[1].

---

(١) لكن أحد علماء آل الشيخ الثقات، وهو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- لم يعتبر هذا انتقامًا، بل أثبت أن الانتقام الإلهي حدث للطرف الآخر، وقد ذكر هذا في المقام التاسع من المقامات التي ألّفها في الرد على عثمان بن منصور تلميذ داود بن جرجيس، ونقل كلامه الشيخ سليمان بن سحمان في تتمته على تاريخ نجد لشكري الآلوسي، وموضع الشاهد مما ذكر كما في (ص١٤٢- ١٤٤) من التتمة:

«ثم لما توفي الإمام سعود -رحمه الله- وصار الأمر بعده إلى ابنه عبد الله بن سعود، وقد تغلبت الدولة التركية على الحرمين وأكثر الحجاز، وكان بينهم وبين عبد الله هدنة ومصالحة، لكن ما أراد الله تمام ذلك لما في ذلك لله من الحكمة التي قدرها وقضاها بسبب الذنوب التي اقترفها المسلمون ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]. ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمرن: ١٤١]. فمشوا بعساكرهم العظيمة وساعدهم بعض البوادي ممن ارتد عن الإسلام إلى نجد، وجاسوا خلال الديار حتى وصلوا إلى الدرعية فحاصروا المسلمين فيها عدة أشهر، ثم خان بالمسلمين من خان بهم والله حسيبه، فأخذوا البلاد وقهروا العباد، وأظهروا في الأرض الفساد...».

=

٣٣) وصل الإمام سعود الكبير بجيوشه إلى الجوف ثم إلى بصرى وحوران، فأصبح على حدود الشام، أغنى ولايات الدولة العثمانية، وقويت شوكة الأمير محمد علي باشا في مصر، واشتهر صيته في الإصلاح والعمران، وهو رجل طموح إلى العلا لا يرضى إلا به، فماذا عليه لو نادى بنفسه ملكًا على مصر، وكل المصريين يحبونه ويسمعون له ويطيعون، وقد أصبح عنده جيش لا يُستهان به، ثم ماذا يكون حال الدولة بعد هذه الكوارث، الحرمان الشريفان ضاعا منها، وأصبحا في قبضة الحكومة الإسلامية السعودية العادلة، والشام على وشك الضياع، ومصر كذلك؟ وأوربا تنظر إلى محمد علي باشا، وقيامه ببناء هذه الدولة المصرية الضخمة بعين الحقد والخوف، أن يؤول ذلك إلى دولة إسلامية ضخمة ترجع إلى الإسلام مجده، وتخيب آمالهم التي كانوا يبنون قصورها من أنقاض الدولة العثمانية الظاهر وهنها وتحللها وفساد أمرها، فقاموا ينصحون للدولة -كما نصح إبليس آدم- أن تصدر أمرها إلى الأمير محمد علي أن يذهب بجيوشه لحرب الوهابيين فتكون قد أصابت عصفورين بحجر واحد، إما أن يظفر أحدهما بالآخر، فتبقى أمام عدو واحد، وإمَّا أن لا يظفر أحدهما بصاحبه، فيكون ذلك إنهاكًا لقواهما جميعًا، وشغلاً لهما عنها وقتًا ما، حتى تتفرغ لكليهما، ولو بعد حين.

٣٤) انتهزها محمد علي باشا فرصة لتوسيع سلطانه ومد جناحيه على الحرمين الشريفين، وذلك ما كان يرجوه ويصبو إليه من كل نفسه.

=

ثم بدأ يسرد أمثلة من الانتقامات الإلهية مِمَّن فتك بآل سعود وآل الشيخ، فذكر أن عسكر إبراهيم باشا بن محمد علي فنوا ولم يصل مصر منهم إلا القليل، وقال: «ولما وصل -أي: إبراهيم باشا- مصر حلت بهم عقوبات أهل الإسلام، فمشى على السودان فما أظفره الله فرجع مريضًا، ثم إن محمد علي بعث ابنه إسماعيل، وتمكن منهم بصلح، فلما رأوا منه الخيانة بأخذ عبيد وجوار أحرقوه بالنار في بيته ومن معه من العسكر... وأما عساكر الحجاز... فسيرهم محمد علي قبل هذا لحرب مورة وكريد لما خرجوا على السلطان، فاستمده السلطان على حربهم فأمده بهذين العسكرين، فهلكوا عن آخرهم، ولم يفلت منهم عين تطرف...» إلخ. العقوبات التي بيَّنها، والتي تؤكد أن صنيعهم مع دولة التوحيد كان ظلمًا وعدوانًا.

٣٥) وبلغ محمد علي ما أراد من الحجاز ونجد، فأراد ضمهما إلى مصر، لكن أوربا لم تمكن له، فأغرت به الدولة العثمانية، وكان هو من جانبه يصانعها، حرصًا على كيانها أمام أوربا، وخوفًا على الخلافة أن تضيع، فعاد الحجاز إلى الدولة العثمانية في ربيع الأول سنة (١٢٤٣هـ)، وعاد الفساد والفسق، وعبادة القبور، وانتهاك الحرمات والفوضى، واختلال الأمن، وفساد الأحوال، وعادت الجاهلية سيرتها الأولى.

٣٦) توالت على نَجد، وعلى آل سعود الكوارث بعد الحرب التركية التي انتهت باستيلاء إبراهيم باشا على الدرعية وتخريبها والقبض على كل آل سعود وآل الشيخ، وإرسالهم أسرى إلى مصر، إلاَّ من أفلت من أيديهم، وهرب في البادية، فلم يقدروا عليه، وإرسال الإمام عبد الله بن سعود إلى الآستانة، ثم قتله بها، بعد إعطائه العهود الوثيقة بالأمان على نفسه وولده وماله، وعادت إليها القلاقل والفساد، ولكن بعد مدة وجيزة عاد كثير من آل سعود إليها، وعملوا على إرجاع ملكهم المضاع، وإصلاح ما أفسدت الحرب، ثم وقعت بين أفراد الأسرة السعودية فتن أخرجت الرياض من أيديهم في سنين عدة إلى آل الرشيد، من قبيلة شمر أمراء حايل[1].

(١) انظر وقائع هذه الفتن في «الخبر والعيان في تاريخ نجد» (ص٣٤٩- ٣٦٢)، والتي كان منشؤها حدوث النزاع بين أبناء الإمام العادل فيصل -رحمه الله-، وكانوا أربعة: عبد الله، ومحمدًا، وسعودًا، وعبد الرحمن، والد الملك عبد العزيز، وفي البداية تولى أكبرهم وهو عبد الله، لكن سعودًا نازعه الحكم، ووقعت وقعة (جودة) بين الطرفين، وانتصر فيها سعود في (٢٧) رمضان سنة (١٢٨٧هـ).

وهذا التنازع بين أبناء فيصل، أغرى محمد بن عبد الله بن رشيد بتوسيع مُلكه، فبعد مناوشات ومفاوضات تنازل الأخوان عبد الرحمن ومحمد عن الحكم لأخيهما الأكبر عبد الله، وذلك بعد وفاة سعود سنة (١٢٩١هـ)، وبويع لعبد الله بالإمامة، وأخذ ابن رشيد يغتنم ما يحدث من الخلافات بين الإمام عبد الله بن فيصل وبلدان نجد، فيتداخل في ذلك، ويتظاهر بحماية أهل نجد، حتى حدثت وقعة الحمادة التي انتصر فيها ابن رشيد، وثبت قدمه في القصيم والوشم وسدير، ولم يبق لعبد الله إلا الجنوب، وهذا بعد أن لم يكن لآل رشيد إلا إمارة جبل شمر التي أقطعهم إياها الإمام فيصل.

وكانت الخرج في أيدي أبناء سعود بن فيصل، وفي سنة (١٣٠٢هـ) هاجم أبناء سعود عمهم عبد الله، وقبضوا عليه وزجوه في غيابة السجن.

=

٣٧) كانت الدولة العثمانية لا تفتأ تغري آل الرشيد بآل سعود وتمدهم دائمًا بالسلاح والمال للقضاء عليهم، وبعد حروب وفتن وقلاقل انتهى الأمر إلى استيلاء عبد الرحمن بن الرشيد على الرياض، وإخراج الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي، والد جلالة الملك عبد العزيز، وذهب يطلب ملجأ يستجم فيه، ويتحين الفرص، حتى حطّ رحاله أخيرًا في الكويت، وكان الإمام عبد العزيز إذ ذاك في العاشرة من عمره، فأقاموا ضيوفًا على مبارك الصباح أمير الكويت إلى رمضان سنة (١٣١٩هـ)، إذ خرج الملك عبد العزيز على رأس (٤٠) بطلاً من آل سعود -من أبرزهم

=

وتظاهر محمد بن عبد الله بن رشيد بأنه أصابه الهلع من صنيع أبناء سعود، وكاتب رؤساء بلدان نجد بهذا، فانخدعوا به، وانضموا إليه، فأحاطَ بالرياض، وخرج إليه عبد الرحمن والد الإمام عبد العزيز على رأس وفد ليفاوضه، فادعى أنه ما أتى فاتحًا إنما أتى محررًا لعبد الله، وهذا ما يريده الناس، وبالفعل أجبر أبناء سعود على العودة إلى مقرهم بالخرج، ودخل ابن رشيد الرياض محاطًا بالتقدير والإعجاب، وبالفعل أطلق عبد الله من السجن، لكن أطلقه ليسجنه في سجن آخر وهو سجن حائل، وسجن معه أخاه عبد الرحمن وبضعة عشر من آل سعود.

وولّى ابن رشيد على الرياض سالم السبهان -أظلم رجل عرفته العارض-، الذي ما لبث أن غدر بأبناء سعود بن فيصل، فقتل ثلاثتهم على حين غرة في الخرج، مما سبب استياءً عامًا، فتلافاه ابن رشيد بعزل ابن السبهان عن الرياض، ثم أطلق سراح عبد الله وعبد الرحمن سنة (١٣٠٧هـ) لأمر في نفسه، ووعد عبد الله بإمارة الرياض.

ومات عبد الله على إثر وصوله الرياض، فتهلل الداهية ابن رشيد، وتهيأ عبد الرحمن لإمارة الرياض، لكن جاءه السبهان محاولاً الغدر به، كما غدر بأبناء سعود، فتنبه له الإمام عبد الرحمن وأحبط كيده.

وخرج ابن رشيد لمحاصرة الرياض، ولكنه فشل في استعادتها، وتجهز أهل القصيم سنة (١٣٠٨هـ) لمحاربة ابن رشيد، فأرسلوا إلى الإمام عبد الرحمن يستنجدونه، فبادر إلى إنجادهم، وبعد أن كانوا قاب قوسين من النصر، انخدعوا بحيلة حربية صنعها ابن رشيد، فانهزموا هزيمة نكراء قبل وصول الإمام عبد الرحمن، وذلك في وقعة (تليدة - أو تليدا).

وهاجم ابن رشيد الإمام عبد الرحمن في حريملاء، فانتصر ابن رشيد، فاضطر الإمام عبد الرحمن إلى إخراج عائلته من الرياض، ويمم شطر الإحساء، ثم قطر، ثم البحرين، ثم استقر به المقام في الكويت، وهكذا استولى ابن رشيد على الرياض مرة أخرى، فنكل بأهلها، وهدم سورها، وقطع كثيرًا من نخلها، وذلك عام (١٨٩١م).

ولمعرفة المزيد عن تاريخ هذه الفترة الحالكة، والتي تمثل تاريخ القضاء على الدولة السعودية الثانية، راجع كتاب: «أمراء وغزاة» لعبد العزيز بن عبد الغني (ص١١٣- ١٥٩).

ابن عمه: عبد الله بن جلوي- مصممًا على دخول الرياض، وانتزاعها من آل الرشيد، وقتل عجلان أميرها من قبلهم أو الموت، فإنه أهنأ من حياة الذل بعيدًا عن ملكه ووطنه.

٣٨) وكان السعد والتوفيق والنصر له رفيقًا، فقد بلغ الرياض في اليوم الرابع من ذي القعدة، وأعمل الفكر في الاحتيال لدخول البلد، التي كانت مسورة بسور حصين، تغلق أبوابه عند الغروب من كل يوم، فوفق الله ودخل البلد، وتسلق الجدار حتى دخل القصر، وأخذ يبحث عن عجلان في قصر الإمارة فوجده عند إحدى زوجاته في مكان آخر، فأدخل رفقاءه، وجلسوا يأكلونَ ويشربون إلى الصباح ولبث حتى خرج عجلان من منزله، ثم هجم عليه هو ورفقاؤه، وبعد محاولات تم قتل عجلان، وتسليم الرياض إلى البطل الفاتح عبد العزيز أدام الله نصره، وأطال حياته[1].

٣٩) وفرح بذلك أهل الرياض كل الفرح، فإن آل سعود -وخصوصًا الإمام عبد الرحمن وبنيه- كان لهم في قلوب أهالي الرياض -الذين كانوا مُخلصين في إيمانهم وحبهم- منزلة لا تدانيها منزلة، وذلك لِمَ كان مشهورًا عنه من الإيمان الصادق، والتقوى، والعدل والشفقة التامة بالرعية، والحظ الوافر في نصر عقيدة التوحيد، وقد كان العلماء من آل الشيخ يحبونه كل المحبة، ويعتبرونه كوالد للجميع، لِمَ كان ينالهم من حبه لهم وتعظيمه إيّاهم، وبره بهم، وعطفه عليهم.

٤٠) ولقد كان يستحق هذا الحب وأكثر منه من آل الشيخ وطلبة العلم، وكل الناس؛ لأنه قد كان فيه الخصال الحميدة، وصفات المؤمنين الأتقياء ما لا يوجد إلا في ولده جلالة الإمام عبد العزيز.

٤١) فلقد رأيت -يوم كنت بمكة- كبار الشيوخ من آل الشيخ يبكون مر البكاء يوم جاء نعي الإمام عبد الرحمن، حتى لترى الواحد منهم كأنه يبكي أباه، بل أكثر،

(١) «الخبر والعيان» (ص٣٧٢): [فتح الرياض العجيب]، وحكى الملك عبد العزيز أحداث فتحه للرياض بنفسه في حديث له مع فؤاد حمزة. انظر: «المصحف والسيف» (ص١٥٤- ١٦١).

وكنت تسمع من تفجعهم عليه، ومن حزنهم أمرًا عجبًا، وكانوا يقصون علينا من جلائل أعمال الإمام، وحبه لأهل العلم ما يعذرهم السامع له في ذلك الحزن، ويشاركهم البكاء.

٤٢) أخذ ابن الرشيد يشن الغارة ويؤجج نار الحرب على الإمام عبد العزيز سنين طويلة، تمده فيها الدولة العثمانية بكل ما تستطيع حتى انتهى الأمر باستيلاء الإمام عبد العزيز على حائل سنة (١٣٤٠هـ)، وأخذ آل الرشيد إلى الرياض، ولا يزالون عنده إلى الآن في غاية الكرامة والإعزاز.

٤٣) ثم كان شريف مكة الحسين بن علي قد أعلن التمرد على الدولة العثمانية وقتل من ضباط الأتراك والموظفين في الحجاز منهم عددًا كثيرًا، ومثّل بهم تمثيلاً تنفطرُ لِهَوْلِهِ القلوب، فإنه كان يأتي بجثة الضابط أو الموظف، ويجرها من رجلها أمام زوجه وأطفاله والناس، زيادة في التنكيل وشفاء غيظ قلبه المتحجر، وأخذ نساءهم وأطفالهم وسلمهم للإنكليز، بعد أن سلّط عبيده وخدمه على أولئك المساكين يفعلون معهم ومع أطفالهم من المنكر ما يشمئز المسلم من ذكره وحكايته وما تسمع فواجعه المفتتة للقلوب من الحجازيين الذين شهدوا هذه المآسي بأنفسهم، وجمع أقصى ما استطاع من عربان الحجاز وباديتها وجيشهم بقيادة ولده الملك فيصل انتصارًا للإنكليز على الأتراك في الجزيرة والشام، وانتهى الأمر بانهزام الأتراك وخروجهم من الشام بعد أن أذاقوا أهله الأمرّين من ظلمهم، ولقد كان لجيش فيصل هذا في الميدان الشرقي أعظم الأثر في انتصار الحلفاء في الحرب العامة، فإنه حفظ لهم البحر الأحمر، طريق الهند، واستراليا، اللتين كانت ترد منهما الجيوش والعتاد الحربي بكثرة هائلة.

٤٤) وكان الحسين يفعل ذلك لإطفاء ما كان في نفسه من نار العداوة المتأججة على الأتراك، ويبتغي إرضاء الإنكليز الذين منُّوه الأماني الكاذبة، وخدعوه بإمبراطورية عربية يكون حضرة الشريف على رأسها ملكًا وخليفة للمسلمين في مشارق

الأرض ومغاربها، وما لبثت أحلامه أن طلع عليها صبح الحقيقة فتبددت، وعجز أن يشفي غيظه من الإنكليز إذ خدعوه، فوجه نار حقده إلى ألد أعدائه في الدين، وأعظم خصومه وأقواهم: الإمام عبد العزيز؛ لأنه هو الأمير العربي الوحيد الذي كان مَحبوبًا في الجزيرة كلها لإيمانه وتقواه وعدله، والذي كان يخافه كل الخوف لقوته وسطوته، والذي كان مع هذا الخوف يعتقد كفره لعقيدته السلفية التي كان الحسين يُحاربها في الحجاز بكل ما استطاع، حتى لقد منع بكل شجاعة دخول كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومؤلفات غيرهم من علماء السلف، الداعين إلى خلع الأوثان وإخلاص العبادة لله، وإقامة الحكم بما أنزل الله، وكان إذا سمع عن واحد من الحجازيين عنده كتاب من هذه الكتب زج به في غيابات سجن القبو، وقد فعل ذلك بالمرحوم الشيخ أبي بكر خوقير مؤلف «فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجهال»، وفي ولده الذي كان ضابطًا بالجيش التركي، حتى مات هذا الولد الضابط، وبقيت جثته أمام والده أيامًا حتى تعفنت وظهر عفنها، وما خرج الشيخ خوقير -عليه رحمة الله- من سجن القبو إلا بعد دخول السعوديين إلى مكة، بعد أن أصيب بأمراض مزمنة -في جسمه وعقله- مما لقي من أهوال هذا القبو.

٤٥) ولطالما حاول إيصال الأذى لكبير أعيان الحجاز السيد محمد حسين نصيف أفندي؛ لأنه سلفي العقيدة، وما عصمه منه إلا الله، ثم نفوذ هذا السيد، وغناه ومركزه المادي والأدبي في العالم الإسلامي كله.

٤٦) ولقد منع الحاج النجدي من أداء مناسكه سنين عدة، وحال بينهم وبين المسجد الحرام، الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد، وهذا زيادة على ما كان يبثه من الوشايات دائمًا ضد الإمام ابن سعود والنجديين وعقيدتهم السلفية، ثم أخذ يوقد نار الفتنة في إمارة عسير بواسطة جواسيسه، ويكتب في جريدة القبلة المقالات المثيرة لها.

٤٧) حتى إذا كانت سنة (١٩٢٠م) بعث حملة عظيمة مسلحة بكل ما كان عنده

من مدافع ورشاشات وبنادق حديثة، كان الإنكليز قد أعطوه إيَّاها في ثورته على الأتراك، ولم يُبق في مَخازنه سلاحًا إلاَّ أخرجه مع هذه الحملة، وكانت بقيادة ولده الأمير عبد الله، وما وصلت إلى (تربة) حتى بيتها جند الإخوان، فأفناها عن آخرها، ولم يسلم الأمير عبد الله إلاَّ بأعجوبة، إذ شق الخيمة من الخلف، وخرج وعبده يعدو به فرسه عَريًّا حتى دخل على أبيه الحسين بمكة على شر حال، وقد كان هو وأبوه -من غرورهما- يزعمان أن حملتهم هذه ستواصل زحفها حتى تكتسح الرياض في قليل من الأيام، ويتحقق حلم الحسين بالإمبراطورية العربية، ولكن الله غالب على أمره، ولا يصلح عمل المفسدين، ولا يهدي كيد الخائنين.

٤٨) ولقد كان من السهل اليسير جدًّا على جيش الإخوان أن يتابعوا زحفهم حتى يدخلوا الحجاز في ذلك الحين، ولكن أوامر الإمام ابن سعود ردتهم عن ذلك، واكتفى بهذه الضربة القاصمة لعل الحسين يرعوي، ويثوب إلى رشده، ويستيقظ من حماقته وغطرسته.

٤٩) ولكن الحسين كان عنيدًا، ضيّق التفكير معجبًا بنفسه فوق ما يتصور، كتب إليه الإمام ابن السعود يخطب وده، ويرجوه أن يعمل على جمع كلمة أمراء العرب ولمِّ شملهم، بعقد مؤتمر منهم، يعمل على إطفاء نار الفتن من بينهم، حتى لا يكونوا لقمة للعدو الذي يتربص بهم الوهن والضعف من وراء تناحرهم، فكتب إليه الحسين كتابًا لا يليق أن يصدر من رجل عادي، فضلاً عن شريف عظيم يرجع نسبه إلى العترة الهاشمية، ويريد أن يكون خليفة للمسلمين وأخذ مع هذا يبث جواسيسه ودعاته لإشعال نار الفتنة في عسير حتى قامت فيها ثورة أطفأها الملك ابن السعود بيقظته وحزمه قبل استفحالها[١].

---

(١) جاء في الخبر والعيان (ص٤٤٧): «تم الاتفاق على عقد المؤتمر في بلد الكويت لموقعها الجغرافي، وموقفها الحيادي...» ثم قال: «انعقد مؤتمر الكويت سنة (١٣٤٢هـ)، وحضره مندوبون عن العراق وشرق الأردن، أما الحسين فإنه لما علم بإخفاق خطة الاتحاد المرسومة، وعدم تعلق

٥٠) فلما رأى الإمام عبد العزيز أن الحسين لا يكف شره، ولا يترك فرصة في الكيد لهم إلا انتهزها، وأنه لا يزداد إلاَّ تماديًا في البغي، أيقن أنه لابد من إطفاء نار هذه الفتن بإخراج الحسين من الحجاز، فأمر الشريف البطل، خالد بن لؤي أن يهجم برجاله «صبيان التوحيد، إخوان مَن أطاع الله» على الطائف، فتقدم إليها ووصلها في أول صفر سنة (١٣٤٣)، وكانت زاخّة بالمصطافين من سراة مكة وأغنيائها غارقين في زفهم ولهوهم، فما هي غمضة عين حتى فَرَّ من كان فيها من جند الهاشميين، واستولى عليها الأمير خالد وجنده في السادس من صفر، ونادى أهلها بالأمان، ما داموا مستقيمين على صراط الله المستقيم.

٥١) فجمع الشريف الحسين جيشًا مهلهلاً استأجر رجاله من أهالي مكة والأعراب المقيمين فيها والأعراب حـولها، وكلهم كان ينطوي على أشد الكره للحسين، لِما لقي من حكمه الغاشم فالتقى بهم جيش الإخوان في الهدا، فما هي إلا جولة تَمزَّق فيها جيش الحسين وولَّى مُنهزمًا إلى مكة، وتابع الإخوان زحفهم إلى مكة، فقام عقلاء الحجازيين على الحسين، وأرغموه على الخروج من مكة، حتى لا يقع فيها حرب لا فائدة فيها إلاَّ ضياع الأرواح وانتهاك حرمات الله، وبذلك سهلوا للإخوان أن يدخلوها آمنين، فجمع أمواله ومتاعه، وخرج إلى جدة، ودخلها الشريف خالد والإخوان مُحرمين معتمرين، في نصف ربيع الأول سنة (١٣٤٣هـ)، ونادوا في الناس بالأمان، وأن لا يخاف أحد على نفسه ولا ماله، ما دام متبعًا لأحكام الإسلام.

٥٢) واضطر الحسين تحت ضغط الحجازيين إلى النزول عن الملك لولده الأكبر علي بن الحسين في يوم (٦) ربيع الأول سنة (١٣٤٣هـ)، ثم رحل يجر أذيال الخيبة، جـزاء مـا ألحد في الحرم، وذهب بزوجه وولده زيد إلى العقبة، ثم بعد أيام

= مطالبه بمطالب أبنائه أعلن امتناعه عن إرسال مندوبيه زاعمًا أنه لم يعترف بحكومة نجد، فلا يسعه أن يفاوضها مفاوضة الند بالند، ونسي أنه قبل مبدئيًا بعقد ذلك المؤتمر، وبعد لأي ما قبل، ولكنه لم يرسل مندوبًا عنه وقت انعقاد المؤتمر ثانية». اهـ

رحل على بارجة انجليزية إلى قبرص، حيث مات بها في سنة (١٣٥٢هـ)، ونُقلت جثته إلى القدس فدفن فيها، وجاء الملك عبد العزيز إلى الحجاز تخفق على رأسه ألوية النصر والتأييد من الله بما كان ينصر من التوحيد والدين الخالص وبما كان يضمر للحجاز من جعله مثابة للناس وأمنًا، وإعادة الإسلام الصحيح بشرائعه وأحكامه يرفرف على ربوعه، فدخل مكة في جُمادى الأولى، وأبى -رحمةً بالحجاز وأهله وضيوفه- إلاَّ إخراج الهاشميين من الحجاز مرة واحدة، ثم يُحكِّم عقلاء المسلمين في مصير الحجاز؛ لأنه لا غاية له فيه ولا مطمع، وزحف على جدة في جمادى الآخرة، فحاصر الملك عليًّا في جدة أحد عشر شهرًا، انتهت بتسليم الملك علي، وخروجه من الحجاز إلى بغداد في (٢٤) ديسمبر سنة (١٩٢٥م)، وبذلك دخل الحجاز كله تحت الراية العربية السعودية الإسلامية السعيدة.

٥٣) لما طال الحصار على جدة واشتد الضيق على أهلها، وعرف العقلاء أن جيش الملك علي الذي كان مؤلفًا من مرتزقة الآفاقيين والضعفاء، والبدو القليلين لا فائدة منه، ومحال أن يتغلب على الإخوان «صبيان التوحيد» الأشداء في إيمانهم وعقائدهم وقلوبهم وأجسامهم وعتادهم المتحمسين لإعادة الحجاز إلى حظيرة الإسلام الصحيح، أرغموا الملك عليًّا على التسليم، فوسَّط قنصل إنكلترا في جدة أن يسعى لدى الملك ابن السعود في الصلح والاتفاق على شروط التسليم.

فكتب القنصل إلى الملك ابن السعود:

٥٤) «بعد الاحترام، مراعاة للإنسانية، ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية إلى الحجاز، أكون مسرورًا إذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتي بالرغامة غدًا يوم الخميس (١٧) ديسمبر سنة (**١٩٢٥**) قبل الظهر، أو بعد ذلك بأسرع ما يُمكن».

فأرسل إليه جلالة الملك عبدُ العزيز -وكان أحرص من القنصل ومن الملك علي رعاية الإنسانية وعودة الرفاهية والسلام إلى النفوس- الرد بالموافقة.

فاجتمعا، وتم الاتفاق على شروط تسليم جدة، وهي تتلخص فيما يأتي: «أن

يسلم الملك علي ما يكون عنده من الأسرى، وأن يسلم كل الضباط والعساكر بأسلحتهم ومهماتهم الحربية إلى الملك عبد العزيز، بشرط أن لا يخربوا شيئًا منها، وأن تكون جميع ممتلكات الحكومة من دور وأبنية وأثاث وبواخر ومنشئات وسنابيك ملكًا للملك عبد العزيز، ويتعهد الملك عبد العزيز أن يضمن سلامة جميع السكان والموظفين، وأن يمنحهم العفو العام، وأن يرحل الضباط والعساكر الذين يرغبون العودة إلى أوطانهم، وأن يوزع عليهم خمسة آلاف جنيه انكليزي ذهبًا، وأن يبقى الصالح من موظفي الحكومة في وظائفهم، وأن يسمح للملك علي أن يأخذ أمتعته الشخصية، وأن يمنح أسرة الحسين ممتلكاتهم الموروثة، بخلاف ما يكون أصله وقفًا أو أنشأه الحسين أثناء حكمه، وأن يمنح سكان وأهالي ينبع كل ما منح لأهالي جدة[1].

---

(١) وعلى أثر دخول الملك عبد العزيز إلى جدة في (٧) جمادى الثانية (١٣٤٤هـ)، أعلن -رحمه الله- إلى أهالي المنطقة الغربية البلاغ العام التالي، كما جاء في كتاب «المصحف والسيف» (ص٢٦٦-٢٦٨): «من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى إخواننا أهل الحجاز سلَّمهم الله تعالى.... السلام عليكم ورحمة الله...

وبعد... فإني أحمد الله الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، وأهنئكم وأهنئ نفسي بما مَنَّ الله به علينا وعليكم من هذا الفتح الذي أزالَ به الشر، وحقن دماء المسلمين، وحفظ أموالهم، وأرجو من الله أن ينصر دينه، ويُعلي كلمته وأن يَجعلنا من أنصار دينه ومتبعي هداه.

إخواني... تفهمون أني بذلت جهدي، وما تحت يدي، في تخليص الحجاز لراحة أهله وأمن الوافدين إليه، إطاعة لأمر الله، قال جل من قائل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس، أن ساد السكون والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه، بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناسُ فيها مرّ الحياة وأتعابها، ولما مَنَّ الله بما مَنَّ، مِنْ هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه، أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو.

وإني أبشركم -بحول الله وقوته- أن بلد الله الحرام في إقبال وخير، وأمن وراحة، وإنني -إن شاء الله- سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها.

=

فإن خالف الملك علي أو رجاله، أو قصروا في تنفيذ أي شرط من هذه الشروط، فيكون الملك عبد العزيز غير مسئول عما عليه في هذا الاتفاق».

٥٥) وكتب الإمام عبد العزيز إلى العالم الإسلامي يطلب أن تبعث كل حكومة وهيئة إسلامية مندوبين من قبلها للنظر في تقرير مصير الحجاز وحكومته، فلم يُجبه إلى ما طلب إلا جميعة الخلافة الإسلامية في الهند، وتبين له وللحجازيين بعدُ أنه كان لمندوبيها غرض لا يتفق مع الشرف الإسلامي، ولا مع قداسة الحجاز.

٥٦) بعد التسليم، انتخب أعيان الحجاز وفدًا من بينهم قابل جلالة الملك ابن السعود، وطلب إليه أن يترك لهم حق تقرير مصيرهم، فأجابهم إلى ذلك، وأصدر بيانًا هذا نصه:

٥٧) «أما بعد: فقد بلغ القاصي والداني ما كان من أمر الحسين وأمرنا إلى أن اضطررنا لامتشاق الحسام، دفاعًا عن أرواحنا وأوطاننا، ودفاعًا عن حرمات الله ومحارمه، ولقد بذلت النفس والنفيس في سبيل هذه الديار إلى أن يسر الله الكريم بفضله فتحها واستتباب الأمن فيها، ولقد كانت عزيمتي منذ باشرت العمل في هذه

=

لقد مضى يوم القول، ووصلنا إلى يوم البدء في العمل، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، واتباع مرضاته والحث على طاعته، فإنه من تمسك بالله كفاه، ومن عاداه -والعياذ بالله- باء بالخيبة والخسران.

إن لكم علينا حقوقًا ولنا عليكم حقوق، فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة، وحقنا عليكم المناصحة -والمسلم مرآة أخيه-، فمن رأى منكم منكرًا في أمر دينه أو دنياه فليناصحنا فيه، فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء.

إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا إلى الراحة والطمأنينة، وإني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار، فإني لا أراعي في هذا الباب صغيرًا ولا كبيرًا، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره.

هذا ما يتعلق بأمر اليوم الحاضر، إني أسأل الله أن يعيننا جميعًا ويوفقنا لما فيه الخير والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم...

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

تحريرًا بجدة في (٨) جمادى الثانية (١٣٤٤هـ)

الديار أن أنزل على حكم العالم الإسلامي -وأهل الحجاز ركن منه- في مستقبل هذه الديار المقدسة، ولقد أذعت الدعوة للمسلمين عامة غير مرة أدعوهم لعقد مؤتمر إسلامي يقرر في مصير الحجاز ما يرى فيه المصلحة، ثم عزَّزت ذلك بدعوة عامة وخاصة، فأرسلتُ كتابًا للحكومات والشعوب الإسلامية في (١٠) ربيع الآخر سنة (١٣٤٢هـ)، وقد نشر ذلك الكتاب في سائر صحف العالم، ومضى عليه ما يزيد عن الشهرين لم أتلق على دعوتي جوابًا من أحد، ما عدا جمعية الخلافة في الهند، فإنها -بارك الله فيها- عملت وتعمل كل ما في وسعها لراحة الحجاز وهنائه، ولما انتهى الأمر في الحجاز إلى هذه النتيجة التي نحمد الله عليها جاء أهله جماعات ووحدانًا يطلبونَ مني أن أمنحهم حريتهم التي وعدتهم بها في تقرير مصيرهم، فلم يسعني أمام طلباتهم المتكررة إلا أن أمنحهم هذه الحرية ليقرروا في شأن بلادهم ما يشتهون، بعد ما ظهر من العالم الإسلامي هذا الصد والإعراض عن مثل هذه القضية الهامة».

٥٨) «ثم رفع الحجازيون بعد هذا كتابًا إلى الإمام ابن سعود ضمنوه نص بيعتهم له على الملك، إذ قالوا:

٥٩) «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبايعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود على أن تكون ملكًا على الحجاز على كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة -رحمهم الله-، وأن يكون الحجاز للحجازيين، وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شئونه، وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز، وأن يكون الحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم».
ووقعه العلماء، والأعيان، ورؤساء التجار والموظفون فأجابهم:

٦٠) «**بسم الله الرحمن الرحيم**، من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى إخواننا الحجازيين الموقعين أسماءهم: سلامٌ عليكم، وبعد:

فقد أجبناكم إلى ما طلبتم، ونسأل الله المعونة والتوفيق للجميع».

٦١) ثم كانت البيعة في الكعبة المشرفة في (٢٢) جمادى الثانية سنة (١٣٤٤هـ)، ألقى الملك بعدها خطبة بليغة دعا فيها إلى الاعتصام بكتاب الله وإلى التوحيد الخالص، ثم قال: «إني أحمد الله الذي جمع الشمل وأمَّن الأوطان، وأنا لكم على عهد الله وميثاقه، إني أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادي وأسرة آل سعود، أحبكم في الله وأعاديكم في الله».

* * * *



صقر الجزيرة وبطل الإسلام

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل[1] آل سعود أطال الله عمره، وأيده ملكه، ومتع الإسلام بقوة سلطانه، وامتداد زمانه.

٦٢) ولد عند أذان فجر يوم الثلاثاء العشرين من شهر ذي الحجة من شهور سنة (١٢٩٧هـ)، وهو الموافق لليوم السادس عشر من نوفمبر من سنة (١٨٧٩) ميلادية، وكان جو الرياض في هذه الأيام مكفهرًا بأحداث مروعة وفتن كقطع الليل المظلم، فالإمام عبد الرحمن لم يصل إلى الولاية إلاَّ بعد حروب أهلية طاحنة وعروة الصفاء والمحبة بين الرؤساء والزعماء منفصمة، فحين أخذ الإمام عبد الرحمن يُطفئ هذه الفتن إذا بها تشتعل جذوتها بأروع وأشد من قبل ابن الرشيد الذي أخذ يتابع غزواته على الرياض في عنف وشدة، والرياض تزداد كل يوم وهنًا على وهن أمام جيوش مزودة بالسلاح العثماني الكثير والمال الوفير، حتى انتهت أخيرًا باستيلاء ابن الرشيد عليها في سنة (١٨٨٥م)، وولَّى عليها من قبله مَن يحكمها تحت سلطانه، وقبع الإمام عبد الرحمن في داره، وجمرة الغيظ تأكل قلبه، إذ أعجلته الأيام عن الوصول إلى غايته التي كان يسعى لها جاهدًا، وهي لَمّ شعث أولئك الزعماء الذين أكلهم التحاسد وفرّق شملهم، وأذهب ريحهم، وألزمهم الفشل في كل مواقفهم، وحاول تقوية أواصر المحبة والأخوة، وحتى كان يعمل لها بالدين والعقيدة الإسلامية التي كان هذا الإمام متمكنًا منها، ومتمكنة منه غاية التمكن.

---

(١) وتتمة نسبه كما في الأعلام: «ابن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من آل مقرن، من ربيعة بن مانع، من ذهل بن شيبان».

٦٣) في وسط هذه العواصف الهوج، والزعازع المقلقة بزغت شمس عبد العزيز، حين صاح مؤذن الفجر «حي على الصلاة حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم» فكأن ذلك الداعي إلى الفلاح الدنيوي والأخروي يُبشر بهذا الفلاح في وجه ذلك المولود السعيد الذي حقق الله فيه هذه البُشرى، فأسعد الله به أهل الجزيرة، وأنالهم على يديه عز الدنيا والآخرة وفلاحهما.

٦٤) رضع هذا المولود السعيد التقوى والورع، وخشية الله مع لبان ثدي أمه سارة السديرية، التي كانت أصلح أهل زمانها وأتقاهن لله، ومن أبيه الذي كان كذلك، وغذي بآيات الجد والعمل، وروح الحرب والجهاد، وغسل ما لحق بأسرة آل سعود، وما لحق بدعوة التوحيد على يد ابن الرشيد وغير ابن الرشيد الذين كادوا لهما وأذلوهما بمعاونة العثمانيين.

٦٥) حضر الحروب الهائلة، ورأى رءوس الرجال تطير، والدماء تُسفك، وهو حول العاشرة أو دونها، وذلك أن سالمًا[1] أمير الرياض من قِبَل ابن الرشيد حاول أن يقضي على آل سعود بمكيدة الأنذال الجبناء، وأن يَجمعهم في حفلة سمر مع إمامهم عبد الرحمن، ثم يلقي بإشارة إلى عبيده وجنده، فيذبحونهم كالخراف، لكن الإمام عبد الرحمن ليس بغافل، ففطن للمكيدة، ورأى الحفرة أمامه، فصمم على إيقاع سالم فيها، وأفضى بذلك إلى آل سعود، فجاءوا إلى السمر متهيئين، وحضروا بقلوب السباع لا بوداعة الحملان، فلمَّا صفا المجلس، وقبل أن يفكر سالم كيف يسلم مما رأى من خيبة تدبيره كانت السيوف قد ذهبت برءوس جنده جميعًا، وكان هو في القيد أسيرًا[2]، وكان الطفل عبد العزيز يشهد هذه الحفلة الساهرة ليتلقى بها درس عبرة الأيام والحوادث، ما يربي فيه الرجولة ودرس السيف وما يربط على قلب عبد العزيز كيف يلعب برءوس الرجال، وكيف يروي ظمأه من دمائهم الحارة، وكان

(١) هو سالم السبهان.

(٢) تقدم الإشارة إلى هذه الواقعة بإجمال في تعليق سابق.

هـذا درسًا لن يبلغ مُعَلِّم إلى قلب عـبد العزيز بمثل ما بلغ إليه هذا الدرس من رباطة الجـأش، وثبـات القلب، وقـوة النفس، والشجاعة التي تحدثنا عن عمر بن الخطاب وعـن خالد بن الوليد، وعن إخوانهـم من ليوث التوحيد الأولين -رضي الله عنهم-.

٦٦) أدخله والده المكتب ليتعلم القراءة والكتابة، فعافت نفسه العظيمة أن يَجلس وسط الأطفال؛ لأنها لم تكن نفس أطفال، وأن يقعد أمام مُعلِّم يلقي إليه التعليم بلسانه وعصاه؛ لأنه يُحس من نفسه صارخًا يقول: أنت يا عبد العزيز الذي ستعلم الناس، وأنت الذي ستكون للجميع إمامًا وزعيمًا، فلما عرف القراءة والكتابة، تمرد على المكتب وعلى شيخه، فخرج منه يتلقى الدروس والعلوم والمعارف في مدرسة الحياة وعلى يد الحوادث.

٦٧) سمع ثبت أحداث التاريخ، وتقلبات الأيام البيض والسود بأسرة آل سعود، وبدعـوة التوحـيد، وصـوت الضربات التي وقعت عـلى كلتيهما من خصـومهمـا آل الـرشيد، والعثمانيين، وأشراف الحجـاز وغـيرهم ممن تألب عليهما، وكاد لهما، وشفى غـيظه منهما، وأصـابع الفتنة التي لعبت بهما حتى مزقت شملهما، وذهبت بريحـهما فـوهنت القـوى، وفصمت عروة الوحدة العربية الإسلامية التي كانا قد وثقاها، وبلغا بها إلى أوج العز ومنتهى القوة، فكان لسماعه ذلك الثبت من أبيه، وأمه، وإخوته والمشايخ، وغيرهم من كل مَن مسه شرر هذه الفتن والدسائس والخطوب، أثره في رسم خطته في بناء ذلك المُلك الذي شيده على أساس الدين، والحكمة، واستلال الحقد من القلوب، حتى سلمت وكانت قلبًا واحدًا، وكلمةً واحدة، وروحًا واحدة، هي روح الجامعة الإسلامية تحت راية التوحيد، «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

٦٨) إن الله تعالى قد اصطفاه وآتاه بسطة في الجسم والعقل والعلم، فهو أفخم من رأيت من الرجال، قامة مديدة، وأكتاف عريضة، وصدر رحب، وجسم كله قوة، وكله نشاط وحـركة وعـقل قوي، وجـنان ذكي وفِكر متوقد، وبديهة حاضرة، وقلب

يسع كل الرجال والحوادث فلا يتزلزل، ولا يهن ولا يضعف بشيء منها، فهو كالجبل الراسي، ولسان فصيح ومنطق قوي، وقول يُصيب المحز، وحكم رائعة، وبلاغة تفحم السامع، وتقوده بخيط من حرير، فإذا هو طوع هذا الخطيب العظيم، ويد سخية، لا تعرف للمال قيمة إلا ادخار المثوبة عند الله، ثم امتلاك أعناق الرجال وقلوبهم، فهو لا يعرف «لا» ولا يخطر في باله أن يقولها لأي سائل، ولا أن يرد بها على أي مسترفد فضله، أو مجتد من كرمه، اللهم إلا فيما ينال من كرامة دينه أو ملكه أو نفسه.

٦٩) سمعته يومًا -وقد دخل عليه البطل خالد بن لؤي -رحمة الله عليه- عقب إطفاء فتنة الدويش في سنة (١٣٤٨هـ)- يقول له: «اسمع يا خالد، اسمعوا يا الإخوان، أنا عندي أمران لا أتهاون في شيء منهما ولا أتوانى في القضاء على من يُحاول النيل منهما ولو بشعرة.

الأول: كلمة التوحيد «لا إله إلا الله، محمد رسول الله اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي وكل آل سعود فداء لهذه الكلمة لا أضن به.

والثاني: هذا الملك الذي جمع الله به شمل العرب بعد الفُرقة وأعزهم بعد الذلة، وكثّرهم بعد القلة، فإني كذلك لا أدخر قطرة من دمي في سبيل الذود عن حوضه، وقد عودني الله -سبحانه وتعالى- من كرمه وفضله أن ينصرني على كل من أراد هذا الملك بسوء أو دبَّر له كيدًا؛ لأني جعلتُ سُنتي ومبدأي أن لا أبدأ أحدًا بالعدوان، بل أصبر عليه وأطيل الصبر على مَن بدأني بالعداء، وأدفع بالحسنى ما وجدت لها مكانًا وأتمادى في الصبر حتى يرميني البعيد والقريب بالجبن والضعف، حتى إذا لم يبق للصبر مكان ضربت ضربتي فكانت القاضية، وكانت الآيةُ على ما عودني الله من فضله، والحمد لله رب العالمين».

٧٠) سجايا فَطَر الله تعالى عليها عبد العزيز، الحلم البعيد المدى والشجاعة

النادرة، وقوة الفصاحة التي لا تُبارى، والقلب المملوء بالعلم والحكمة، فإذا خطب مَلَكَ القلوب وقاد النفوس العصية، والفراسة النيرة التي تدل على صفاء الروح ونقاء القلب وحيويته الدائمة بذكر الله والكرم الذي يَجعله كالريح المرسلة، والبساطة في كلامه، ولباسه، وطعامه، ومجلسه، وفي كل شأنه، والتواضع الذي يَملك على رائيه كل مشاعره، والعدل الذي فتح بابه لكل مظلوم، والتنبه الدقيق جدًا لكل شأن من شئون ملكه حتى لا تفوته صغيرة ولا كبيرة، والصراحة في الحق حتى لا يَخشى فيه أحدًا، ويُحبه من كل أحد، ولا يدخر في نصره وسعًا وقوة الذاكرة التي تعي الحوادث والمسائل العلمية مفصلة فلا يَنِدُّ منها شيء، فيجمع شتاتها، ويقرنها ببعضها، ويستخلص منها للتجارب، يرسم بها خطط عمله، وأساليب حكمه، ونظم مملكته، ورحمة وحنان على الضعيف والصغير يُحس معه رحمة الأبوة، وحنان المؤمن الذي قلبه مرآة ينطبع فيها شعور كل إخوانه وإحساساتهم، فيفرح بما يفرحون ويتألم مما يتألمون.

وقد وُفِّقَ إلى حرص عظيم على بر الوالدين وصلة الأرحام، يتجلى به معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

حدثني من رآه بمكة -وقد أراد والده الإمام عبد الرحمن -رحمه الله- أن يركب- فوطأ له من كتفه فوضع قدمه عليه، حتى رقى ظهر الذلول، وأنه كان يتولى بنفسه صب القهوة في مجلس والده، وكان ذلك في الحجاز، وعبد العزيز ملك الحجاز وسلطان نَجد وصقر الجزيرة، وبطل الإسلام، وبذلك ضرب للناس أعظم المثل، وأحسن القدوة في اتباع الكتاب الكريم وسنة النبي ﷺ، وأنه هو أحق الناس أن يكون زعيمًا، وأن يكون إمامًا وأبًا للجميع.

وذلك خُلق بنيه الكرام، فإنك ترى من توقيرهم لوالدهم وتآلفهم وتحاببهم

فيما بينهم وتوقير صغيرهم لكبيرهم وعطف كبيرهم علىٰ صغيرهم ما يُخبرك أصدق الأخبار عن خيار المؤمنين السالفين.

٧١) بهذه السَّجايا العظيمة، والخِلال الكريمة بسط الله لعبد العزيز هذا المُلك، ووطأ له من أكناف هذه الدولة وهيأ له في مملكته العمال الناصحين والرجال الصادقين المخلصين فتعاونوا وإيَّاه علىٰ تسيير سفينة البلاد، فسارت في خضم هذه الحياة العصرية ثابتة آمنة في جميع الشئون، سياسيًّا، وماليًّا، واقتصاديًّا، وعلميًّا، وزراعيًّا، وتجاريًّا. وبهذه الروح المؤمنة الصادقة أتاح الله للجزيرة عهدًا سعيدًا بالأمن والرخاء ورغد العيش، يذكرنا بعهد عمر بن الخطاب وإخوانه الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم-[1].

---

(١) وممن شهد أيضًا لهذه الدولة المباركة بأنها أعادت الأمن والرخاء إلىٰ ربوع نجد الشيخ «بهجت بيطار» -رحمه الله- حيث قال: «لقد أسعدني الحظ والتوفيق، فزرت الجزيرة العربية حواضرها وبواديها، وسلكت المفاوز، ومررت بالمراكز التي يشرفها جلالة الملك، حينما يمر بها متنقلاً متفقدًا شئون رعيته فماذا رأيت؟

أمَّا البادية؛ فقد سرنا فيها ليالي وأيامًا آمنين، وقد كُنا نرىٰ القوافل والرجال والنساء، والأموال، والأطفال تسير من الخليج -أو شط العرب- حتىٰ تبلغ البحر الأحمر، فلا يتعرَّض أحد لها بسوء، وبحثتُ عن السر بإمعان فلم أجد إلا قول الله -عز وجل-: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُولِي الْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]. فهذا الأمن الكامل والشامل الذي أظهره الله علىٰ يديه الكريمتين في القرن العشرين كان حجة لله علىٰ عباده في أمن الأمة وسلامتها، وفي حفظ شريعتها، وتنفيذ أحكامها، وقد كسر العدل الإلهي الذي أتبعه كل شوكة للإلحاد القائلة: بأن لا حياة لأحكام الإسلام الخالدة في عصر القوانين الرائجة.

سألنا أحد الأعراب البداة المسنين عن عمله قبل التوبة؟ فقال: بيد تردد وامتناع: إنه شاهد قتل عدد من حجيج بيت الله الحرام خمسة عشر نفسًا، قلنا: وأي الزمانين خير؟ قال: هذا الزمان، زمن الإمام عبد العزيز طول الله في عمره، قلنا: لماذا؟ قال: لأننا نحن أيضًا لم نكن آمنين من شر المغيرين علينا الذين يقتلون، وينهبون، ولا يبقون شيئًا مما كسبناه من حلال أو حرام!! ولكننا في عهد الإمام عبد العزيز -أعزه الله بطاعته-، كسبنا حلال ومالنا دون غيرنا، ونحن آمنون علىٰ عيالنا وأطفالنا من القتل والجوع، ولما قابلت الملك وأبديت إعجابي لجلالته بما رأيت وما سمعت، تبرأ من كل حول وقوة وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

=

* * * *

=

فتلوت قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]. وأما المدن والحواضر، فقد تشرفت في الرياض بزيارة أسد الإسلام، وكنت ضيف جلالته في عرينه، ورأيت قومه من حوله وتذكرت ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: «مازلت أحب تميمًا لثلاث سمعتهن من النبي ﷺ كلما جاءت صدقة من صدقاتهم قال: «هذه صدقة قومي»، وقال عن الجارية: «أعتقها، فإنها مؤمنة»، وقال عنهم: «هم أشد أمتي على الدجال»، فلم أر وصفًا لأولئك القوم الكرام أجمع من قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

فهم يجمعون بين الدنيا والدين على أكمل الوجوه وأفضلها، فمتى حضرتهم طاعة الله بادروا إليها، ولا يصدهم شيء عنها وإنك لتسمع دويهم في المساجد بقراءة القرآن وأدعيتهم وأورادهم المأثورة بعد الصلوات، فتذكرت صحب النبي ﷺ، وقول النبي ﷺ: «إنهم قومه»، ولا ترى أثرًا ظاهرًا للمفاسد بينهم، وترى الدين الخالص نقيًّا من الشوائب بريئًا من البدع والزوائد، لم يلبس مقلوبًا كالفرو على غير وجهه، وإذا رأيت ثم رأيت أمة لا تداخلها الدعايات الفاسدة، ولا المذاهب الهدامة، مما تنتن منه الأمم في الأمصار الإسلامية وغيرها، ويسمى بحرية المعتقدات والآراء الشخصية وأصحابها مأجور أو مغرور، فيذكر المرء قول النبي ﷺ في وصف تميم: «هم أشد أمتي على الدجال». [نقلاً عن مجلة السلفية، العدد ٤، عام ١٤١٩هـ - ص١٧، ١٨]

سيرته في غــزواته

٧٢) لقد تعلَّم أسد الجزيرة العربية تجشم المشاق عن طريق ذِكر ربه جافي جنبيه عن المضاجع في الثلث الأخير من كل ليلة وذلك أعذب ساعات النوم، فتعلَّم من هذا مُحاربة الراحة البدنية في طلب العلى.

خرج من الكويت وهو ابن إحدى وعشرين سنة بأولئك الأربعين الأشاوس فلمَّا أصحروا اجتمعَ عليهم عدد ليس بالكثير من العجمان وآل مرة والسهول وسبيع، واجتازوا المفاوز إلى الغرض في أواسط نَجد بعد قطع ما يقرب من ستمائة كيلو مترًا أو يزيد وكلها أراض محكومة لخصمه ذي البأس الشديد، فصبح بعد هذا السير والسرى فريقًا من قبائل قحطان الموالية لخصمه ابن رشيد وعاد فائزًا غانمًا ثم أعاد الكرة فأغارَ على فريق من قحطان في مكان يُدعى عشيرة.

٧٣) بعد هاتين الغزوتين الموفقتين استيقظ النائم فشعر من التف حوله أن القضية ليست قضية غزوات تجر لهم المغانم ففر منهم من رغب في الراحة، وعاد الأربعون الذين كانوا معه، كما خرجوا ولكن بقي مع عبد العزيز قلبه وإيمانه بربه.

ازورت السلطات التركية له في الإحساء ومنعت الميرة عنه ودعاه أبوه للعودة خوفًا عليه، ولكن من أسرار نجاح هذا البطل ثباته حين تزلزل الأقدام ومضاؤه حين تتثاقل الأحلام.

٧٤) قال ذات يوم: «لو كانت الحروب العربية كالحروب الخارجية ملوكها وقادتها يرتبون خطة الحروب وهم جلوس في منازلهم والناس يُنفذون أوامرهم لهانت الحرب، ولكني في حروبي غير أولئك، لقد كنت في أكثر المغارك في طليعة القوة المهاجمة، ولولا هذا ما كنت ترى استبسال الجند في القتال بمثل استبسالهم لو كنت وراءهم».

٧٥) سدت أمام عبد العزيز السُبل وتفرّق من اجتمع حوله ولم يَجد مكانًا يتحصن به إلا تلك الرمال في الربع الخالي بين حرض وجبرين، أقام في ذلك المنزل الخشن في هذه الحال فكر في مغامراته الكبرى في احتلال الرياض، الأربعون هم الأربعون، وإن زادوا فلم يزيدوا إلاَّ أقل من مثلهم، جمع صحبه وطلب منهم عهدًا على أمر، فأجابوه حبًّا وكرامة، قال: «أريد أن تعاهدونني أن لا يسألني أحد منكم أين أسير، ولا ماذا أريد أن أفعل؟» فأعطوه عهدهم ووفوا وكانوا من الصابرين.

٧٦) سار من الربع الخالي ولا يعلم أحد ماذا يريد إلى أن أقبل على الرياض، وكان يوم عيد فدعا من معه فقال: «البسوا أحسن ما عندكم من اللباس فإما كانت أكفانكم، وإمَّا كانت لباس العيد تخطرون بها بين أهليكم».

٧٧) وكذلك أراد ربك أن يخلق في هذه النفس الأبية من الضعف قوة وعزيمة ومضاء فأتم نعمته على عبد العزيز باحتلال الرياض، وبدأ بتصفية البلدان التي كانت خاضعة لخصمه، فأدار وجهه للجنوب، فاستولى على الخرج والحوطة والحريق والأفلاج والدواسر.

ثم دعى والده إلى الرياض فقدمها وقرت عينه بمشاهدة عاصمة ملكه بعد أن بعُد عنها إحدى عشرة سنة.

٧٨) نظر ابن الرشيد إلى سميه نظرات متتابعات مختلفات، استهتار، ثم انتباه ثم الجد في التفكير، رأى أن الأمر قد اتسع، فأعد ما استطاع من قوة وعمل على الإحاطة بالرياض، ثم لَمَّا أيقن امتناع الرياض رحل للجنوب، وهناك كانت المعركة الفاصلة من النصر المؤزر لعبد العزيز آل سعود، ولم يكن جنده يتجاوز الألفين مع الأربعين خيالاً، بينما كان خصمه يتجاوز عدده أربعة آلاف عدا أربعمائة خيال.

٧٩) ولتقدر أيها القارئ بطولة هذا العبقري فانظر إلى المعارك المتتالية التي شهدها والتي دبرها سنة بعد أخرى:

٨٠) ففي السنة الأولى من خروجه من الكويت كان ما يأتي:

١- أغار في غزوة على قحطان في العرض فأصاب مغنمًا.

٢- أغار بعد ذلك بقليل في (عشيرة) من نواحي سدير على عرب من قحطان فأصابَ مغنمًا.

٣- أغارَ في نفس الوقت على فريق من مطير، فأصاب مغنمًا.

٤- أغار على قبائل من الدواسر.

٥- تفرَّق من كان حوله وبقي معه الصابرونَ من أولي العزم، ففتح بهم الرياض، وهذا كان (١٣١٩هـ).

٨١) وفي السنة التالية كان ما يأتي من الوقائع:

١- أغارَ على قبائل من قحطان في (خلبان) مرتين.

٢- كانت واقعة السليمية التي التحم فيها لأول مرة مع ابن رشيد وهزمه.

٣- غزا عربًا من مطير في الصمان.

٤- غزا عربًا من عتيبة في عرق رعبة بين الوشْم وجبل طُويق.

٥- غزا بعدد عظيم -كان أعده لابن رشيد فأفلت منه- مطير في الصمان.

٦- احتل شقرا وثرمدا والروضة وسائر مدن سدير ما عدا المجمعة.

هذه المعارك كلها كانت في سنة واحدة تقريبًا في السنة الأولى، فإن من الإقدام على اقتحام الصعاب إقدام يَجلب نصرًا فيطلب النصر ثباتًا وجلادًا للمحافظة على الظفر والنصر.

٨٢) وفيما يلي سلسلة من الوقائع:

١- في (١٨) ذي الحجة (١٣٢١هـ) (١٩٠٣م) واقعة مع حسين بن جراد في السر.

٢- معركتان مع ماجد بن رشيد استولى فيها على عنيزة.

٣- معركة فتحت فيها مدينة بريدة، وتبعها مدن القصيم كله.

٤- أيام البكرية (١٣٢٢هـ) (١٩٠٤م).

٥- أيام الشنانة (١٨) رجب (١٣٢٢هـ)، (٢٩) سبتمبر (١٩٠٤م).

٦- معركة في جهات قطر انتصار القاسم بن ثاني على أحمد بن ثاني والي مرة.

٧- روضة مهنا التي قُتل فيها عبد العزيز بن رشيد (١٨) صفر (١٣٢٤هـ).

٨- انحياز على ناهش الذويبي رئيس قبائل حرب في مكان يُسمى (الرجا) بين القصيم وحائل.

٩- أغار على قبائل من حرب في (أبي مغير) بأعالي نَجد.

١٠- أغار على بعض قبائل مطير من أتباع الدويش.

١١- (١٣٢٥هـ) (١٩٠٧م) غزا بعض القبائل الجنوبية.

١٢- (١٣٢٥هـ)، (١٩٠٧م) غزا حائل ورجع منها.

١٣- هاجم سلطان ابن رشيد في قصيبه.

١٤- مناوشات بين عبد العزيز آل سعود وسلطان بن رشيد حول بريدة.

١٥- أغار على فيصل الدويش في جهات المجمعة فشتت شمله.

١٦- واقعة الطرفية (٥) شعبان (١٣٢٥هـ) التي كسر فيها جيش ابن رشيد بعد هجوم شنَّه على معسكر عبد العزيز، وعبد العزيز يدير المعركة ويده مصابة بكسر معلقة في عنقه.

١٧- معركة حول بريدة بعد الطرفية مع سلطان بن رشيد انهزم فيها سلطان ودخل مدينة بريدة وتحصّن فيها.

١٨- غزوة على قبائل من حرب على ماء يُسمى سقف.

١٩- هاجم (٢٠) ربيع الثاني (١٣٢٦هـ) بريدة فاحتلها للمرة الثانية وأخرج منها آل محمد آل عبد الله أبا الخيل.

٢٠- غزوة على بعض من قبائل حرب وشمر قريبًا من الشعبية.

٢١- (٥) ربيع الأول (١٣٢٧هـ) كانت معركة الأشعلي بين عبد العزيز وابن رشيد، انتهت بانكسار ابن رشيد انكسارًا مبينًا لنجاح الخطة الحربية المحكمة التي دبرها عبد العزيز.

٢٢- أغار بعد معركة المشعلي على قبائل من حرب قرب المدينة.

٢٣- معركة في الحريق مع الهزازنة انتهت بتسليم الهزازنة.

٢٤- (١٣٢٨هـ) معركة هدية.

٢٥- وقعة الحريق الثانية مع العرائف والهزازنة، انتهت بالاستيلاء على الحريق وأسر بعض العرائف وفرار بعضهم.

٢٦- (١٣٢٩هـ) قام بعملية تأديبية لبعض قبائل من الدواسر.

٢٧- ضرب العاصين من العجمان من أطراف الإحساء بعد ذلك.

٢٨- معركة في أراضي العراق على بعض عربان ابن سعدون.

٢٩- (١٣٣١هـ) أغار على بعض القبائل من آل مرة.

٨٣) لقد كانت سيرة عبد العزيز الحربية سيرة مملوءة بالعبر تتجلى فيها الأمور الآتية:

١- إعداد أقصى ما يمكن إعداده من قوة.

٢- الحذر وبث العيون والأرصاد، وقد كان لهذا الأمر ولا يزال القدح المعلّى وهو الذي ساعده على تفهم الأمور وتداركها في وقتها.

٣- لا يقدم على المعركة إلا وهو مضطر لها يسعى جهده مع خصمه لاجتناب الحرب، فإذا لم يجد مركبًا غير الأسنة تقدم غير هيّاب ولا وجل.

هذا جهاد الإمام العادل بالسيف والسنان لإعلاء كلمة الله، فأمّا جهاده بنشر هدي الرسول ﷺ بطبع كتب الحديث والتفسير، وغيرها من الكتب السلفية وإرسالها في مشارق الأرض ومغاربها مصابيح هدى للناس، فلهذا ميدان أوسع من ميدان السيف والسنان، ومما ثم اتسعت دائرة التعليم والمعارف، وذهبت البعوث العلمية إلى مختلف الأقطار تنهل منه وردها لتعود أيدي عاملة للنهوض بقسطها من خدمة العروبة والإسلام في المملكة العربية السعودية تحت راية الإمام العادل عبد العزيز آل سعود.

* * * *

مجموعة من أحاديث وخطب

جلالة الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود

رحمه الله تعالى

هذه هي عقيدتنا

الخطاب الذي ألقاه جلالته في الحفل الذي أقيم في القصر الملكي بمكة المكرمة في غرة ذي الحجة (١٣٤٧هـ) (١١) مايو (١٩٢٩م):

يسموننا «بالوهابيين»، ويسمون مذهبنا «الوهابي» باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض...

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسُنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح.

ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، كلهم محترمون في نظرنا.

هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله -عز وجل- خالصة من كل شائبة منزّهة من كل بدعة فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب.

أمّا «التجديد» الذي يحاول البعض إغراء الناس به بدعوى أنه ينجينا من آلامنا فهو لا يوصل إلى غاية ولا يدنينا من السعادة الأخروية.

إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله وسُنة رسوله، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة.

إننا لا نبغي «التجديد» الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا، إننا نبغي مرضاة الله -عز

وجل-، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه، وهو ناصره، فالمسلمونَ لا يعوزهم التجديد وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح، ولقد ابتعدوا عن العمل بما جاء في كتاب الله وسُنة رسوله، فانغمسوا في حمأة الشرور والآثام فخذلهم الله -جل شأنه-، ووصلوا إلى ما هم عليه من ذل وهوان، ولو كانوا مستمسكين بكتاب الله وسُنة رسوله لما أصابهم ما أصابهم من محن وآثام ولما أضاعوا عزهم وفخارهم.

لقد كنت لا شيء... وأصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة يحدها شمالاً العراق وبر الشام، وجنوبًا اليمن، وغربًا البحر الأحمر، وشرقًا الخليج، لقد فتحت هذه البلاد ولم يكن عندي من الأعتاد سوى قوة الإيمان، وقوة التوحيد، ومن «التجدد» غير التمسك بكتاب الله وسُنة رسوله، فنصرني الله نصرًا عزيزًا..

لقد خرجت وأنا لا أملكُ شيئًا من حطام الدنيا ومن القوة البشرية، وقد تألب الأعداء عليَّ، ولكن بفضل الله وقوته تغلبتُ على أعدائي وفتحت كل هذه البلاد.

إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله وسُنة رسوله ومن خطل الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة وهذه المصائب، إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب، يأتي أجنبي إلى بلد ما فيه مئات الألوف بل الملايين من المسلمين، فيعمل عمله بمفرده، فهل يعقل أن فردًا في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه ويمدونه بآرائهم وأعمالهم؟!

كلا ثم كلا، فهؤلاء الأعوان هم سبب بليتنا ومصيبتنا، أجل إن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله وأعداء أنفسهم.

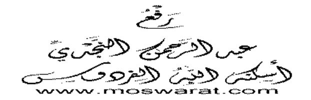
إذن فاللوم واقع على المسلمين وحدهم لا على الأجانب، إن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول، وكذلك المسلمون، لو كانوا متحدين متفقين لما كان في مقدور أحد خرق صفوفهم وتمزيق كلمتهم.

في بلاد العرب والإسلام أناس يساعدون الأجنبي على الإضرار بجزيرة العرب والإسلام وضربها في الصميم، وإلحاق الأذى بنا، ولكن لن يتم لهم ذلك إن شاء الله وفينا عرق ينبض.

أجل، إن المسلمين هم مصدر البلاء الذي أصابهم، وأكثر ذلك يتأتى عن طريق أولئك الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة ومنافعهم الذاتية فيدوسون في سبيلها كل شيء يعترضهم في الطريق، إن هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة وينامون على الوثير من الفراش لا يفكرون إلا في أنفسهم ولم يحسبوا لله حسابًا.

إن المسلمين بخير إذا اتفقوا، وعملوا بكتاب الله وسُنة رسوله، ليتقدم المسلمون للعمل بذلك فيتفقون فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه وبما جاء فيهما والدعوة إلى التوحيد الخالص، فإنني -حينذاك- أتقدم إليهم فأسير وإياهم جنبًا إلى جنب في كل عمل يعملونه وفي كل حركة يقومون بها، والله إنني لا أحب الملك وأبهته، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا، فإنني أسير وقتئذٍ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير بل بصفة خادم، أسير معهم أنا وأسرتي وجيشي وبنو قومي والله على ما أقول شهيد وهو خير الشاهدين.

* * * *



نصرنا الله بقوة التوحيد

الخطاب الذي ألقاه جلالته في الثالث والعشرين من محرم (١٣٤٨هـ) (١ يوليو ١٩٢٩م)، بمكة المكرمة بمناسبة سفره إلى المنطقة الوسطى من المملكة.

نحن نسافر اليوم إلى نجد، لمشاهدة الأهل والبلاد؛ لأن حب الوطن من الإيمان، وإننا نأسف لأننا نترك مؤقتًا هذا البيت المبارك وأهله.

على أننا سائرون في سبيل مصلحة المسلمين، نسير إليها أينما اقتضت الحاجة، وقد قضت اليوم بأن نسير إلى نجد لنباشر الأعمال بأنفسنا، وإنا لنرجو الله أن يوفقنا لما فيه الخير والفلاح.

العرب اليوم هم كالطفل الصغير، يَحتاجون إلى عناية شديدة، فمن الواجب على الذي يتولى أمرهم أن ينصحهم ويرشدهم إلى طريق الصواب، وقد عملنا الواجب في هذا الصدد، ولكن إذا تمادى البعض في غيهم وظهر أن المصلحة العامة مهددة، اضطر ولي الأمر للضرب على الأيدي وسفك الدماء، فهو في عمله هذا كمثل الطبيب الذي يستعمل أنواع الأدوية التي يَحتاج إليها المريض، ويضطر في بعض الأحيان إلى بتر عضو من الأعضاء حفظًا لسلامة المجموع، وقد قالت العرب في أمثالها بهذا الصدد: «آخر الدواء الكي»، و«القتل أنفى للقتل»، وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾.

يعلم الله أن كل جارحة من جوارح الشعب تؤلمني، وكل أذى يمسها يؤذيني، وكذلك الشعب يتألم إذا أصابني شيء، ولكن المصلحة العامة تضطرني بأن أقضي على من لا يصغي للنصح والإرشاد، وبأن أتجرع ألم ذلك حفظًا لسلامة المجموع، إنني أتألم جد الألم إذا رأيت بعض الأشخاص يشذون عن الطريق السوي فيصغون

لوساوس الشيطان، ومما لا شك فيه أن المصلحة العامة هي فوق كل مصلحة، ولذلك فـإن مصلحـة المسلمين ترخـص الأنفس في بعض الأوقـات، فالله أسأل أن يهدي المسلمين إلى سواء السبيل، وأن يَجعل كلمته هي العليا.

قد علمتم أن بعض الناس قد شذَّ عن طريق الهداية وتنكب الطريق المستقيم، ووقع في أحـابيل الشيطان بفعل الـدسائس التي يكيدها بعض من يدعون الإسلام ويتظاهرون بالغيرة على الإسلام، والله يشهد أن الدين منهم براء، وبراء من أعمالهم، لقد قلت وما زلت أقول أنني لا أخشى من الأجانب قدر ما أخشى من بعض «المسلمين»، فالأجانب أمرهم معروف، وفي الاستطاعة الحذر منهم، وفي الإمكان الاستعداد لصد هجماتهم وإحباط دسائسهم، أضف إلى ذلك أنهم لا يقدرون على محاربتنا باسم الإسلام، أما بعض «المسلمين» فهم ما زالوا يكيدون لنجد وأهل نجد باسم الإسلام والمسلمين، ويُحاربون إخوانهم المسلمين باسم الإسلام منذ عصور.

كانت الدولة العثمانية، وقد كانت أقرب الناس إلينا بصفتها دولة إسلامية، فحاربتنا باسم الإسلام والمسلمين محاربات شديدة، وأحاطت بنا من كل جانب، حاربنا مدحت باشا من جهات القطيف والإحساء، وسيرت علينا من الحجاز واليمن قوات عظيمة، وكذلك سارت جيوشها من الشمال فحاصرتنا من كل جانب للقضاء علينا ولضربنا في الصميم، حاربتنا باعتبار «الوهابية» مذهبًا جديدًا، وأن ابن عبد الوهاب جاء ببدعة جديدة، وأن «الوهابيين» تجب محاربتهم، إلى غير ذلك من الأقوال المنمقة التي انطلت على أصحاب العقول السذج من الدهماء، فانخدعوا وانقادوا لأقوالها ولكن الله نصرنا عليهم.

وكذلك فعل الشريف وأنجاله، فقد حاصرونا من كل الجهات وأرادوا القضاء علينا باسم الدين أيضًا، ولكن الله نصرنا عليهم وجعل كلمته هي العليا، وقد نصرنا الله بقوة التوحيد الذي في القلوب والإيمان الذي في الصدور، ويعلم الله أن التوحيد

لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آلة لقضاء مآرب شخصية أو لجر مغنم، وإنما تمسكنا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي، ولنجعل كلمة الله هي العليا. أسأل الله أن يهدينا جميعًا إلى الطريق السوي.

* * * *

أساس أحكامنا هو الشرع الإسلامي

الخطاب الذي ألقاه جلالته في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى (٧) ربيع الأول (١٣٤٩هـ) (١ أغسطس ١٩٣٠م).

يا حضرات الأعضاء...

إني لأحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي على محمد وآله وصحبه، وأستفتح بالذي هو خير...

وبعد:

فإنني أفتتح باسم الله مجلسكم الكريم في دورته الجديدة، راجيًا من الله تعالى أن يلهمكم الصواب في جميع قراراتكم وآرائكم، إني أذكر بسرور الجهود التي كانت من المجلس السالف، وما صدر عنه من نظم وقرارات كان رائدها -ولله الحمد- المصلحة العامة وتوخي الفائدة للبلاد..

إن أمامكم اليوم أعمالاً كثيرة، من موازنة لدوائر الحكومة ونظم من أجل مشاريع عامة تتطلب جهودًا أكثر من جهود العام السابق، وإن الأمة تنتظر منكم ما هو المأمول منكم من الهمة وعدم إضاعة الوقت الثمين إلا بما فيه فائدة البلاد المقدسة...

لقد أمرت ألا يسنَّ نظام في البلاد ويجري العمل به قبل أن يُعرض على مجلسكم من قِبَل النيابة العامة، وتنقحوه بمنتهى حرية الرأي على الشكل الذي يكون منه الفائدة لهذه البلاد وقاصديها من حجاج بيت الله الحرام.

وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي، وأنتم في تلك

الدائرة أحرار في سنٍّ كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقًا لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفًا للشريعة الإسلامية؛ لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيدًا لأحد، والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد ﷺ.

ولا أحتاج في هذا الموقف أن أذكركم بأن هذا البلد المقدس يتطلب النظر فيما يحفظ حقوق أهله، وما يؤمن الراحة لحجاج بيت الله الحرام، ولذلك فإنكم تتحملون مسئولية عظيمة إزاء ما يعرض عليكم من النظم والمشاريع سواء كانت تتعلق بالبلاد أو بوفود الحجاج من حيث اتخاذ النظم التي تحفظ راحتهم واطمئنانهم في هذا البلد المقدس.

وإني أسأل الله لكم التوفيق في سائر أعمالكم..

* * * *

فخرنا وعزنا بالإسلام

الخطاب الذي ألقاه جلالته في الحفل الذي أقامته أمانة العاصمة في مكة المكرمة على شرفه في غرة ذي الحجة (١٣٤٨هـ)، (٣٠ أبريل ١٩٣٠م).

أشكر الله على أن أتاحَ لنا مثل هذه الاجتماعات العظيمة الجمة الفوائد، فهي في الحقيقة أجل الاجتماعات التي نحن بحاجة شديدة إليها في كل وقت وآن..

وليس الغرض من هذه الاجتماعات الأكل والزينات -فإن هذا لا يهمنا- وإنما المهم عندنا أن نتذاكر مع إخواننا بما يعلي كلمة التوحيد ويدعو لإخلاص العبادة لله، فهذا جل ما نقصده من هذه الاجتماعات.

إن الله -جلت قدرته- حكيم إذ جعل للاجتماع في بيته الحرام فوائد جمة أولها الإخلاص في عبادة الله تعالى في أقدس بقعة، حيث جعل بيته الحرام وأرسل رسوله من أفضل قبيلة قطنت هذه الديار.

وقد جعل الله الفخار لأي كان بالتقوى لا بغيرها، فلم يكن في الإسلام تفاضل بين العربي وغير العربي إلا بها، وفخار العرب وعزهم بالإسلام وبمحمد ﷺ.

والكريم عند الله هو التقي الورع ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وقد أنزل الله على رسوله محمد ﷺ خير الكتب، فأمرنا بهذا الكتاب المبين وبرسوله، وهذا خير فخار لنا.

والمقصود من هذا الاجتماع هو أن نُجدد اسم الإسلام ونعمل بمعناه، والإسلام معناه الاستسلام لله تعالى والطاعة له والإيمان بكتابه ورسوله، وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله وسنة رسوله، وأعمال الخلفاء الراشدين وما اتفق عليه الصحابة الكرام، وما جاء به فيما بعد الأئمة الأربعة فهي حق لا نحيد عنه قط.

ثم إن الغاية من هذا الاجتماع هي التعارف والتآلف، لعل الله يوفقنا بذلك لخدمة الدين ونشر حقيقته، وبهذا، وبهذا وحده ننال العز والفخار في الدنيا والآخرة، وثقوا بأن الله يؤيد من يعمل ويسعى في هذا السبيل.

ومن المسائل التي يجب أن نعمل بها في هذا الشأن وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف هي تطهير الإسلام من أدران الخلافات التي علقت بالدين وهو بريء منها، وإنما ألصقها فيه أناس نفعيون يبتغون من وراء ذلك النفع المادي.

إن هذا الاجتماع هو للتعارف كما قلت، ورابطة الإسلام هي خير واسطة للتآلف والتعارف، فالواجب علينا أن نتمسك به، وأن نعمل بما أمرنا به لننال الفوز في الدنيا والآخرة.

يقولون «الحرية» ويدعي البعض أنها من وضع الأوروبيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعًا، وجاء «بالإخاء» و«المساواة» المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم، فآخى بين الصغير والكبير، والقوي والضعيف، والغني والفقير وساوى بينهم.

ويقولون «التمدن» و«المدنية الأوربية» هي الغاية القصوى، وهذا وهمٌ باطل، فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحًا لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص والنية الحسنة، والإخلاص في العمل هو أكبر سلاح لنا، فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص.

لست ممن يفخرون بألقاب الملك ولا بأبهته، ولست ممن يولعون بالألقاب ويركضون وراءها، وإنما نحن نفتخر بالدين الإسلامي، ونفتخر بأننا دعاة مبشرون لتوحيد الله ونشر دينه، وأحب الأعمال إلينا هو العمل في هذا السبيل، وكلما قمنا بشيء من هذا القبيل -ولو بسيط- شعرنا براحة واطمئنان، شعرنا بأننا نلنا فخرًا يزيد عن فخر الملك وأبهته... أجل.. نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

إن الله أمرنا أن ننظر في كل أمر من أمورنا وألا ندخر جهدًا في المحافظة على كياننا، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.. الدنيا درجات، ولو درسنا حالة الأوربيين وجدنا أنهم يعتصمون بالحديد والكهرباء وما شاكلها، أما نحن فإننا نعتصم بحبل الله تعالى، ومن اعتصم بالله فهو حسبه[1].

نحن دعاة إلى الإيمان بالله تعالى وبرسوله وبكتاب الله وبسنة نبيه، نحن ندعو إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن، وليس في ذلك غش ولا تدليس.

ومن غريب أمر «الصحفيين» أنهم إذا دخلوا في جدل مع الأوربيين جادلوهم بالتي هي أحسن، وألانوا لهم القول وانتقدوهم بهوادة ولين، ولكنهم -أي: بعض رجال الصحافة- إذا أرادوا الدخول في جدل مع المسلمين انقلبت الآية وجادلوا المسلمين جدلاً ملؤه الكذب والبهتان، وحشوه الأقذاع والطعن والهجو الشديد، انتقدوهم انتقادًا مرًّا بعيدًا عن آداب الجدل والحديث.

أنا ترعرعت في البادية، فلا أعرف أصول الكلام وتزويقه[2]، ولكن أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق، إن فخرنا وعزنا بالإسلام، والله لا يهمني مال قارون ولا غيره، وكل همي هو موجه لإعلاء كلمة الدين وإعزاز المسلمين.

سنبقى مثابرين -أنا وأسرتي- على هذه الخطة إلى ما شاء الله، ولن نحيد عنها قيد شعرة بحول الله وقوته، ومن الله نسأل التوفيق والهداية.

* * * *

(١) هكذا يكون الإمام الرباني صاحب العقيدة السوية، الذي عَظَّم شأن التوحيد في نفسه وفي نفوس رعيته.
(٢) إنما يعرف الحديث والأثر.



لا عــز لنا إلاَّ بالإســـــلام

الخطاب الذي ألقاه جلالته في حفل الاستقبال الذي أقامه في مبنى وكالة المالية في الطائف (١٨) محرم (١٣٥١هـ)، (٢٤) مايو (١٩٣٢م).

الشريعة كلها خير، وإن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب وأرسلَ الرسل ووضع فيها ما أمرهم به وما نهاهم عنه...

- **والأمر لا يتم إلاَّ بمسألتين:**

الأولى: التوفيق... والتوفيق لا يكون إلاَّ بالله ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئًا.

والثانية: **الاجتماع والائتلاف**، وهذان هما أساس كل شيء ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

وقد شرع الله مشاريع في الدين مثل اجتماع المسلمين في الصلوات الخمس، والجمعة، والحج، والنظر في مصالحهم باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، ومصالح العباد لا تكون إلاَّ بالاجتماع، فإذا تألفت القلوب وتوحدت الكلمة نالوا السعادة في الدين والدنيا، وإذا اختلفت القلوب وتفرّقت الكلمة أضاعوا الدين والدنيا ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

وإن من طبيعتي، ومن الأشياء التي أحبها وأحرصُ عليها وأدعوكم إلى الأخذ بها ما سأبديه لكم:

الإنسان عليه حقوق وواجبات، والأمرُ بيد الله، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء بقضاء وقدر، وليس للإنسان في الأشياء حول ولا قوة وما عليه إلاَّ أن يعمل ولا ينظر إلى أقوال الناس؛ لأن محمدًا ﷺ وهو أفضل الخلق وصفوة الرسل

ونبي الله وحبيبه وخاتم أنبيائه وأفضل أهل السماوات والأرض قد عابوا عليه، ولكن ذلك لم ينفعهم ولم يفدهم شيئًا، فقد نصره الله وآواه وأعزه وخذل أعداءه، وإن من طُرق الخير اتباع الأخيار، والأخيار هم العلماء العاملون وهم مغناطيس القلوب، لكن إذا عملوا بما أنزل الله.

وإني أعتمدُ في جميع أعمالي على الله وحده لا شريك له، أعتمدُ عليه في السر والعلانية والظاهر والباطن، وإن الله مسهل طريقنا لاعتمادنا عليه، وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي، وإن تمت على يدي فذلك فضلٌ من الله، وكل عمل لا يتم إلاَّ بالإخلاص، والنصيحة للمسلمين واجبة وقد قيل: «الدين النصيحة»، ومن عمل ذلك وجاهد فيه فقد أدَّى ما عليه.

وإني أريد أن أوضح لكم ما في ضميري، فإن كان صوابًا فمن الله، وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان، والإنسان ينظر للأمور بقدر معرفته لها، فمنهم من يتحققها ببصيرة تامة ونظر ثاقب، ومنهم من يبصرها ولا يتدبرها، ومنهم من لا يبصرها ولا يعرفها.

أمَّا نحن فلا عز لنا إلاَّ بالإسلام، ولا سلاح لنا إلاَّ التمسك به، وإذا حافظنا عليه حافظنا على عزنا وسلاحنا، وإذا أضعناه ضيعنا أنفسنا وبؤنا بغضب من الله، وإن الذي أريده وأطلبه منكم هو ما ذكرته لكم من التمسك بدين الله وهذه طريقتي التي أسير عليها، والتي لا يمكن أن أحيد عنها مهما تكلفت، وإني أحب أن أردد عليكم هذا لاعتقادي أنه كالمطر إذا تكرر نزوله على الأرض أنبتت وأثمر نباتها.

تعلمون أننا ما دخلنا الحجاز إلاَّ بعد أن حوربنا في وطننا، وإنا والله لا نقبل على أمر إلاَّ إذا بلينا فيه، وإذا بلينا في شيء دافعنا عن ديننا وأنفسنا وقوميتنا ووطننا، فيأخذ الله بيدنا وهذا فضلٌ من الله علينا، وإذا ما بلغنا إلى جهة من الجهات أمرنا أهلها باتباع كتاب الله وسُنة رسوله، وما نحن إلا مجاهدون في سبيل الله. وإن أول شيء نحافظ عليه ونعض عليه بالنواجذ ونُحارب دونه ولو أهل الأرض هو ديننا ووطننا،

وهذان الأمران لا نقبل فيهما قولاً ولا تصرفًا ولا هوادة، إنا نبذل النفس والنفيس دونهما لأنهما عظيمان عندنا، ولا يمكن أن نتخلى عنهما قيد شعرة ومن لامنا في ذلك فليضرب رأسه بالجدار.

وإني أوصيكم بتقوى الله، والنظر في حالة وطنكم وبلادكم ورفع أحوال الناس ومظالمهم إليَّ ؛ لأن الملقى على عاتقي من الأمور عظيم وبعضكم به أبخص -أي: أعرف-وإني مع كل ذلك أسأل عن أحوال الناس وأتفقد مصالحهم بقدر الجهد والاستطاعة، وإذا ما اطلعت على شيء عيَّنت له هيئة مخصوصة منكم للنظر في ذلك، ثم أشرف على أعمالها بنفسي وأتراجع وإياهم في خصوصها حتى يبت في أمرها بما جاء في كتاب الله، ووالله -يا أهل هذا البلد الطاهر المقدس- أرى الكبير فيكم كأبي، والوسط كأخي، والصغير كابني، وإن الذي أقوله هو الذي أعتقده والله على ما أقول شهيد.

وإني أرى كثيرًا من الناس ينقمون على ابن سعود، والحقيقة ما نقموا علينا إلاَّ لاتباعنا كتاب الله وسُنة رسوله، ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين وعدم الأخذ بالأعمال «العصرية»، فأما الدين فوالله لا أغير شيئًا مما أنزل الله على لسان رسوله ﷺ، ولا أتبع إلا ما جاء به وليغضب علينا من شاء وأراد.

وأما «الأمور العصرية» التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي منها للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلاَّ بالتمسك به.

ويَجب أن تحرصوا على العمل، والعمل لا يكون إلاَّ بالتساند والتعاضد وإخلاص النية والإنسان وحده لا يستطيع أن يعمل، وإذا عمل فيكون عمله ضعيفًا، والضعيف ضعيف على كل حال ونحن نحتاج إلى القوة في كل شيء، وكلنا أمة واحدة عربية، ديننا الإسلام ونبينا محمد ﷺ، والعرب قبلنا عملوا الشيء الكثير،

والتاريخ أكبر شاهد، والإسلام يحضنا على العمل ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، ويجب أن يكون العمل خالصًا لله لا رياء فيه ولا نفاق ولا غش ولا خداع، وإنكم والله إذا عملتم ذلك فستنجحون، وإن العمل يفيدكم ويفيد بلادكم وشعبكم ويقربكم من الله ولا يوجد شيء أحسن من هذا.

ويَجب أن تنصحوا الجاهل وترشدوه إلى طريق الحق والهدى، فإذا اتبع فالحمد لله، وإذا أبى وعاند فإنما إثمه على نفسه، وإني -والله- أحب السلم وأسعى إليه فإذا ما بليت صبرت حتى إذا لم يبق في القوس منزع وحان وقت الدفاع عن الدين والوطن فعلت:

إذا لم تكن إلاَّ الأسِنَّة مركبًا فما حيلة المضطر إلاَّ ركوبها

وهنا لا يكون إلاَّ إحدى الحسْنَيين: إمَّا السعادة وإمَّا الشهادة، وكلاهما نعمة من الله، ونحن نقابل أيهما بصدور رحبة ووجوه باشة وهذه سُنة رسول الله وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم.

والناس معنا ثلاثة..

إمَّا مُحب ومساعد، وإمَّا لا مُحب ولا مساعد، وإمَّا معاند فقط..

فأمَّا الأول، فله ما لنا وعليه ما علينا..

وأمَّا الثاني فنسعى جهدنا في إفهامه الطريق الذي نسير عليه، فإذا اتبعنا فالحمد لله، وإذا أبى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾.

وأمَّا الثالث... فهذا ليس له قصد إلاَّ الفساد في الأرض، وهذا جزاؤه ما جاء في الآية الشريفة ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أنتم رؤساء البلاد وقادة الأمة وكبراؤها، وأدرى بما يحسون به وما يشعرون، ويجب عليكم أن ترفعوا إليَّ كل ما يتظلمون منه وترشدوني إذا رأيتموني ضللت

عن طريق الحق، وإذا لم تفعلوا ذلك فأنتم المسئولون، وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى مني شيئًا مخالفًا فليوضحه لي وليرشدني إلى طريق الحق وليكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه «فليكن ذلك بيني وبينه»، فوالله إذا رأيت الحق أتبعه لأني مسترشد ولست بمستنكف، ومن رأى شيئًا وكتمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أمَّا المظلمة التي تصلني فإني لا أتركها بل أبحثها وأحقق فيها، والتي لا تصلني فالذنبُ فيها على من رأى وكتم، وإذا علمت به فسيكون جزاؤه عندي أعظم من جزاء غيره.

وإني أحثكم على العمل الذي فيه اكتساب معيشتكم، فابذلوا كل ما في وسعكم لذلك، وهذه أرض الله واسعة فاسعوا في مناكبها ولا تركنوا للكسل والخمول فإن عاقبتهما وخيمة.

إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم حتى لا يغتر السفيه بالحلم، ولا يسترسل في غوايته، وأحذركم من أمرين:

الأول: الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبدًا، ومن رأيت منه زيغًا عن العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا أشده، ومن العقوبة إلا أعظمها.

الثاني: السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها، فهؤلاء شأني معهم شأن الديناميت مع النار.

الناس أحرار في مآكلهم ومشاربهم ومرازقهم ونزههم، ومن اعتُديَ عليه فليراجعني لأنصفه ولو جاءني أي إنسان وقال إن ولدك فيصل أخذ مالي واعتدى عليَّ، فإن رآني أنصفته منه علم أني أقول وأصدق في القول، وإن رآني أهملته وساعدت ولدي على ظلمه فعند ذلك يكون له الحق عليَّ.

ولينعم كل إنسان بنعمة الإسلام، وحرية الإسلام، وغير هذا لا نعمة ولا حرية،

فمن كان مشارفًا بنظره من قرب أو بعد فليعلم أن الناس لم يتركونا رحمة أو عطفًا، وإنما تركونا لأن الله أراد تأييدنا ونصرنا.

وقد أتيت بهذا البيان نصيحة لمن قد يغويه إبليس بوسواسه، وإني إذا قلت فعلت، وإذا فعلت أمضيت ثم لا أبالي بما يكون.

هذه نصيحتي يبلغها الشاهد منكم الغائب، وليعلم الجميع أني لا أحمل حقدًا على أحد إلاَّ على شخصين، إما رجل ملحد في الدين أو يقصد هذه البلاد بسوء، فمن كان في نفسه شيء من ذلك فلا يأمنن عقابي، وقد كنتُ أريد الإيقاع ببعض من أعلم فيهم ذلك، ولكني منعت نفسي وأحببت تقديم هذا النصح للجميع، وأسأل الله التوفيق لنا في أعمالنا.

وفي الختام.. أوصيكم بتقوى الله واتِّباع كتابه، والاهتداء بسنة نبيه محمد ﷺ، وأن تعضوا عليها بالنواجذ، وأنتم أهل بلد الله وسكان حرمه الشريف، ويَجب أن تتمسكوا بذلك أكثر من غيركم والله الهادي إلى طريق الرشاد.

* * * *



العلم والعمل

في أوائل شهر صفر (١٣٥٠هـ)، يونيو (١٩٣١م)، استقبل جلالته خريجي المعهد العلمي السعودي فألقى فيهم الكلمة التوجيهية التالية:

أيها الأبناء... إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد، فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم، واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وأن العلم كما يكون عونًا لصاحبه يكون عونًا عليه...

فمن عمل به يكون عونًا له، ومن لم يعمل به يكون عونًا عليه، وليس من يعلم كمن لا يعلم، قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه، وال[illegible] في العمل.

من الناس -وكثيرهم- من يعجب قوله فيأخذ بالسامع بزخرف القول إلى حد بعيد، ويأتي في حديثه بأساليب تسحر، مصوغة في قالب يبهر العقول، وفي الجرائد اليومية والمجلات الشهرية شيء كثير من ذلك، وفي الصحف السيارة ما يصور للقارئ أن قسمًا من الناس قطع في مضمار العلوم، ولاسيما الكونية منها شوطًا بعيدًا، لو حاولتم الوصول إليه في عشرات السنين لِمَ وصلتم نصف المرحلة التي قطعوها، ولكن ماذا كان وراء هذا العلم الوفير؟ لا ترى إلاَّ أحزابًا يضرب بعضها بعضًا، ولا تسمع إلا عويلاً يصم الآذان، وهم بيد غيرهم كفتا ميزان يعلي هذا تارة ويسفل هذه تارة أخرى، علم ولكن بالأقوال، وعمل ولكن في غير النافع، وإن ما أصاب هؤلاء هو من جراء تخاذلهم وعدولهم عن الصراط المستقيم الذي شرحه الله تعالى في كتابه، وعلى لسان صفوة خلقه ﷺ.

جهلوا تعاليم الإسلام الحقة، وبهرتهم المدنية الغربية فنظروا إلى كل ما يصدر

عن الغرب نظرة إكبار، فأرادوا محاكاته وحبذا لو حاكوه فيما يعلي من شأنهم، أرادوا محاكاته بل حاكوه فعلاً، ولكن فيما يئن منه عقلاؤهم.

بعث صفوة الخلق، اللهم صل وسلم عليه، من العرب، ونزل عليه أمين السماء في بلاد العرب، بقرآن عربي غير ذي عوج، فلنعرف ذلك ولنحتفظ بديننا ولُغتنا وبلادنا ولنحبها حبًا جمًا.

لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، فالحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها حيث وجدها، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة وكان لغيرهم أيضًا، فجاء الإسلام فأقرها.

قال صفوة الخلق، اللهم صلِّ وسلم عليه: «**بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»، وقال: «**ولدت في زمن الملك العادل**». حافظوا على تعاليم دينكم، ولا شك أنكم قرأتم -ولله الحمد والمنة- شيئًا كثيرًا منها، أرجو من الله أن ينفعنا وإياكم به، وأقول لكم والله ثم والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئًا فيه نفعنا ولا أحلّت شيئًا فيه ضرنا، وإن النظرة السليمة لتدرك ذلك.

اعلموا أن الناس لو كانوا جميعًا على قلب أكفر رجل لما ضروا الله شيئًا، ولو كانوا على قلب أتقى رجل لما نفعوا الله شيئًا، إن الله لغني عن العالمين.

انظروا إلى نعم الله، هل فاضل في أحكامه بين غني وفقير؟! فأوجبَ على الثاني الصلاة -مثلاً- وترك الأول؟! وهل أباح للأول ما حرمه على الثاني من المسكرات مثلاً؟ لا.. لا تفاضل إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب... سوى بينكم وأكبر من شأنكم فأمر ألا تعبدوا إلا واحدًا، ولا تخافوا إلاَّ واحدًا ولا تسألوا إلاَّ واحدًا، ومعلوم أن أرباب النفوس العالية إذا كان لها عند ملك من الملوك حاجة تُحب أن تُدلي بحاجتها إلى الملك بلا واسطة، والله يأمر عباده أن يسألوه بلا واسطة، ولا شك في أن هذا -أي عدم الواسطة- تكريم لك أيها الإنسان.

أبنائي... لقد مَنَّ الله عليكم وأرشدكم إلى طريق الخير، فاعملوا إنا لمنتظرون، والله ولي التوفيق.



لا أملك غير السيف والمصحف

الخطاب الذي ألقاه جلالته في القصر الملكي بمكة المكرمة تكريمًا لكبار الحجاج (٦ ذي الحجة ١٣٥٠هـ - ١٢ أبريل ١٩٣٢م)، وفيه أوضح كافة الملابسات التي تحيط بالموقف السياسي، وكشف أسباب الشائعات المغرضة التي كان خصومه يروجونها في بعض البلاد العربية.

إن من أعظم ما تفضل به الله على الناس نعمة الإسلام، وأنه -سبحانه وتعالى- قد حكم بين البلاد وأجرى العدل بينهم، وابتعث من أشرفهم وأفضلهم رسوله صلوات الله وسلامه عليه، كما قد جاء في كتابه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ... ﴾ إلى آخر الآية. وإن نعم الله وفضائله لا تُعد، وتجف أقلام الناس وما تبلغ ذلك لأنهم بشر، وأن قوام الأمر على ما يأتي:

أولاً: الاعتراف بنعمة الإسلام، وأن الله منَّ علينا بالنبي الكريم الذي لا ينطقُ عن الهوى، والمعصوم عن الخطأ والخطل كما جاء في الكتاب الكريم ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وقد جعل لهم اجتماعات يجتمعون فيها والقصد من ذلك التقرُّب إلى الله وتقرير العبودية له والخضوع لإرادته والرضوخ لعفوه والأمن من عذابه، ومن فضله تعالى أيضًا أنه فرض عليهم خمس صلوات، وأمرهم بالاجتماع فيها، وعلى الأخص يوم الجمعة الذي يَجتمعون فيه، وجعل له فضائل كثيرة، وجعل لهم اليوم الأكبر في هذه البقعة المباركة منبع الوحي والدين، هذه أكبر نعم الله -سبحانه وتعالى-، فيجب علينا الاعتراف بهذه النعم، والاعتراف لا يكون باللسان فقط، بل ينبغي أن يكون بالجوارح، والجنان أيضًا، فيؤدي واجبًا من الواجبات وركنًا من الأركان، فالواجب على المسلمين الاعتراف بنعم الله والقيام بأداء الشكر عليها.

ثانيًا: اتِّحاد المسلمين وتعاضدهم واتباع قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾، وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- من الأسوة الحسنة برسوله أمرًا عظيمًا وأمرنا بذلك في كتابه الكريم: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾، والواجب أن نتأسى به وبأصحابه...

ثم ... أتعرفون ما دمر الدين وأكثر الفتن بين المسلمين؟ لم يكن ذلك إلاَّ من اختلاف المسلمين وعدم اتِّفاق كلمتهم، وإذا أعدنا النظر إلى أيام الإسلام الأولى وما افتتحوا من أقطار وما كسروا من أصنام، وما نالوا من خير عميم، نَجد هذا كله ما حصل إلاَّ باجتماع الكلمة على الدين والإخلاص في العمل والخلوص في النية.

المسلمون مَنَّ الله عليهم بالإسلام واجتماع الكلمة، ولكن لـمَّا تفرقوا انخذلوا وسلَّط الله أعداءهم عليهم، وإذا رجع المسلمون إلى تعاضدهم وتكاتفهم رجع إليهم عزهم ومجدهم السالف، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾، والقضاء كائن لا محالة، ولـمَّا تناصح المسلمون بلغوا أوج السماك، ولما تخالفوا كانوا بهذا الشكل الذي نأسف عليه، والنفس أمارة بالسوء، ولربما أن أحد الناس عرف ذلك وضيعه، والثاني عرف الدين وعمل به وعلم الله ما بقلبه؛ فجعل العقبى خيرًا له.

المسلمون اليوم قائمون من نوم وغفلة، فيجب عليهم أخذ سلاحهم، والسلاح سلاحان: أمَّا سلاح العدة من طيارات وما إليها، فهذا ما لا يستطيع المسلمون أن يستحوذوا على مقادير منها بقدر ما استحوذ عليه أعداؤهم إلا أن يشاء الله، أما السلاح الثاني -وهو الأعظم- فالذي أوصي به نفسي وأوصيكم به، هو التقوى والاعتصام بحبل الله جميعًا، فإذا عملتم ذلك نلتم العزة في الدنيا والعفو في الآخرة، ورحمة الله وسعت كل شيء، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وكل طريق غير ذلك لا يُفيد.

وإني أقول بوجوب القوة في كل شيء، في الزراعة وفي السياسة وفي الصناعة وفي كل أمر فيه طاعة لله، أمَّا ما يُخالف ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،

وقد أمر رسول الله ﷺ بتعلم اللغات الأجنبية لأنها من ضمن القوى على العدو لئلا يظهر عليهم، وكذلك أصحابه من بعده.

لقد اجتمعنا اليوم في أفضل البقاع على دين الإسلام نتذاكر في طاعة الله تعالى التي لا قوام إلاَّ بها، فالملتبس عليه الأمر نفهمه، وصاحب النصيحة يبديها، والمعاند يكفينا الله سوءه ولا يهمنا أمره، وإذا كان الذي بيني وبين الله عامرًا فعسى الذي بيني وبين العالمين خراب، ونحن بشر لا نخلد ولا نبقى، وقد مضى صفوة الخلق ومضى أصحابه بعده، ولكن الإنسان يعمل جهده فيما يصلح به الحال ويكشف به الغطاء.

لقد كثرت أقاويل الناس عن الحجاز وأهله، وما نقموا منهم إلاَّ أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد، والحجاز قد استولاه ناس قبلنا من الأتراك والأشراف، والرجال الموجودون اليوم هم أبناء الرجال السابقين، يعرفون حالة الحجاز السابقة، ولا يخفاكم أيضًا ما كان فيه من سفك دماء وعمل المعاصي وعدم الأمن، فلما ولاَّنا الله عملنا ما نستطيع ونحن عباد مستعبدون لله، ليس لنا طريقة وليس لنا مذهب غير الدين الحنيف، وهذا كتاب الله بين أيدينا، وهذا شرع الإسلام نتبعه، أما خوض الرجال فإن كان من جهة الدين واعتراضهم عليه فالحق ما جاء في كتاب الله، والذي يكتم الحق ملعون، وكل أمر خالف الدين متروك، أما عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين أو الأئمة الأربعة المهتدين، فإننا نتبعهم ومن كان عنده غير ذلك يبينه لنا حتى تقوم الحجة، وكل إنسان عنده نصيحة لنا من الكتاب أو السنة فنحن مستعدون في جميع الأوقات سواء كانت من كبير أو صغير أو جليل أو حقير، ومن أرادنا على مخالفة شيء من ذلك فلا نقبله أبدًا، وقد أمرنا الله أن نتبع شريعة الإسلام وأن نعض عليها بالنواجذ ومن غضب علينا لاستمساكنا بديننا فليغضب علينا إلى ما يشاء.

تولينا الحجاز، فقام الناس بين شامت وناقم ومُحب وناصح، وإخواننا المسلمون نقبل منهم كل أمر فيه مناصحة على شرط أن يكون في الحق، ومسألتان لا يمكن أن نقبلهما ولو قاتلنا أهل الأرض حتى لا يبقى فينا أحد: التغيير في دين الله

ولو مثقال خردلة؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالكتاب والسنة لا نَحيد عنهما أبدًا.

والثانية: أن أي أمر يلحق استقلال أو شرف بلادنا فهذا مستحيل أن نقبله، ولو تكلم من تكلم أو قال من قال، والحقائق مبثوثة ومعلومة وهذا هو الذي يلزمنا دينًا ودنيا.

كثيرًا ما يقولون بعض الناس ليش ما يحط ابن سعود جمعيات ودعاية ضد الإنجليز والمسكوف أو الطليان أو غيرهم، ويدافع عن المسلمين، فأحب أن أكشف هذه الشبهة وأبيِّن الحقيقة فيها...

أنا لستُ من رجال القول الذين يرمون اللفظ بغير حساب، أنا رجل عمل إذا قلت فعلت، وعيب عليَّ في ديني وشرفي أن أقول قولاً لا أتبعه بالعمل، وهذا شيء ما اعتدت عليه ولا أحب أن أتعوده أبدًا....

ماذا يريد الناس مني؟ يريدون أن أقول وأتكلم ثم يهمل جوابي وأسكت؟ وأي فائدة في القول الذي لا يعقبه فعل؟ إنه أمر ما اعتدته ولم يعتده قومي معي، أنا لا أقول لصاحب «أم القرى» أو غيره قل وتكلم على فلان وفلان، وإنما آمر بالسكوت إلى وقت الفعل فإذا فعلنا تكلمنا.

سكتنا من قبل ومن بعد لأننا كنا في ريبة من أمر الناس، وأريد «بالناس» أكثر الذين يدعون الإسلام، وهؤلاء هم الذين أخشى شرهم وأراقبهم قبل غيرهم.

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد ... وهب لصروف الدهر ما أنت واجد

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبُه ... فواعجبا إن سالمتك الأباعد

إنهم إذا أرادوا التكلم عن نصراني تأدبوا وأحسنوا الرد، ولكن إذا تكلموا عن المسلمين رموهم بالبهتان كأنهم أعداء لهم، يقولون: «ابن سعود قال كذا»، و«فعل كذا».. وكله زور... زور.. لماذا كل هذا؟ هنا رجال نقموا منا لما أعطانا الله إيَّاه، فسول لهم الشيطان من الوسواس الشيء الكثير، ولم أر أحدًا من أولئك دافع عني ولا

مدافعة واحدة، بعضهم منعوا عن الحرمين الصدقات والأوقاف وأخذوا يَمنعون الناس عن حج بيت الله، كله لأجل ابن سعود، فما هو العمل الذي عمله ابن سعود؟ هل نصب ابن سعود صنمًا يعبده من دون الله؟ هل أباح الخمور؟ هل أباح الزنا والفجور؟ هل تركَ ابن سعود الأشرار يُفسدون في الأرض؟ أم ماذا صنع ابن سعود مما يُنكره الشرع وتأباه المروءة العربية؟

إني والله أخاف الأجنبي مرة واحدة، وأخاف الذين يدَّعون الإسلام ثلاث آلاف مرة... وأرجو أن يعذرني المسلمون في قول هذا... وإني والله صادق فيما أقوله وما تكلمت به، وقد قيل: يا رسول الله المسلم يزني؟ قال: «يزني».. قالوا: يسرق؟ قال: «يسرق» قالوا: يكذب؟ قال: «لا».

فأنا أبرأ إلى الله من الكذب... هذه حقيقة الأمر، وما هو الطريق الذي اتفق عليه المسلمون وجاهدوا فيه وتأخرت عنهم؟ أنا أتأخر وأتقدم بقدر الحاجة ولا أعمل عملاً أخرب به بلادي، وإذا جاء وقت العمل واللقاء فالعار على الذي يتأخر، فإذا بذل الناس ما لهم بذلتُ مالي، وإذا بذلوا رقابهم بذلت رقبتي ورقاب عيالي، أما الهرج والمرج والكلام الذي يضرنا أكثر مما ينفعنا فهذا ما لا دخل لي فيه، وإذا برز المسلمون للعمل لاالعيب في شرفنا -حنا العرب- إن تأخرنا..

يقولون ابن سعود يأخذ قرضًا من الإنجليز، وابن سعود يريد أن يفعل ويصنع، فأنا لم آخذ مال أهل الحجاز ولا حلالهم، بل أصلحت حال الحجاز وحال أهله، في هذه البلاد الطاهرة، لقد أمن الله ثم أمّنت الطريق، وضربت على يد الظالم، وأقمتُ شرع الله في جميع أنحاء المملكة من الخليج إلى البحر الأحمر، ومن صبيا إلى جيزان، إلى قريات الملح، وهذا كله من الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

يقولون أن البوادي هلكت من قلة الأمطار والله -سبحانه وتعالى- هو الفعال، وإذا أراد أن يمنع المطر عن البادية فماذا يصنع ابن سعود؟ ولكن العيب على الذين منعوا صدقات وأوقاف أهل الحرمين الشريفين، وأخذوا يدسون للناس ويمنعونهم

بدعوتهم السيئة بصدهم عن الحج، أما قلة الأمطار في البادية فهذا لا يُعاب علينا لأنه من الله، ويَجب الحمد علىٰ ما قدَّر وأراد، وليس هذا خاصًّا ببادية الحجاز، بل هو موجود في فلسطين والعراق أيضًا، ولكن الله رحم عباده وهو أرحم الراحمين، وهذا شيء لا نستطيع دفعه لا نحن ولا هم، وإذا كان في استطاعتي دفعه ولو كان فيه ذبح أولادي ما تأخرت عنه.

والله ليس لي من المال شيء، ولا أملكُ غير السيف والمصحف، وأموال الحجاز لأهل الحجاز، وأنا أحميهم وأدافع عنهم، وإني أعلن وأقول أن من أراد من ملوك المسلمين أو أمراء المسلمين أو تُجار المسلمين أن يقوم بعمل خيري للمسلمين في هذه البلاد فأهلاً وسهلاً ومرحبًا، بشرط ألا يخل بشرف بلادنا أو باستقلالنا ولا بشيء من أمور ديننا، وأما كلام الحق الذي يُراد به باطل فهو لا نقبله ولا نقره ولا نسمعه وعلينا أن نُحافظ علىٰ كل شيء يقدم إلينا بأمورنا وأنفسنا علىٰ الطريقة الشرعية...

لقد خاض الناس في القرض الكاذب ولفقوا وأولوا ... وأنا أقول -والله الذي لا رب سواه- لم أعمل مع الإنجليز ولا مع غيرهم قرضًا ما، وربما أننا نَحتاج ونأمل من المسلمين أو غيرهم، ولكن إذا وقع فلا يمكن أن يخرج ذلك عن حدود الشرع، ولا يُمكن أن يمس البلاد واستقلالها وما فيها، وإذا كان أحد من المسلمين، ملكًا أو تاجرًا، يريد أن يُساعد الحجاز وأهله علىٰ الوجه المشروع فأنا أقوم معه وأساعده، وإني أقول، من كان عنده نصيحة أو إرشاد ويريد عرضها علينا فنحنُ مستعدون لذلك سواء الآن أو في وقت غير هذا بيننا وبينه أو أمام علماء المسلمين، وإني والله لا أقبل علىٰ بلادي ولا علىٰ بلاد المسلمين ما يضر بهم، وإني أحترم الشائب منهم كأبي والوسط كأخي والصغير كابني، وهذا ما أعاهد الله عليه ثم أعاهدكم عليه، والحقائق ظاهرة كالشمس.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ مُحمد، وآله وصحبه وسلم أجمعين.



إلى مثل هذا التضامن أدعو المسلمين

الخطاب الذي ألقاه جلالته في الحفل الذي أقامه تكريمًا لكبار الحجاج في مكة المكرمة (١٠ ذي الحجة ١٣٥٣هـ - ١٩ مارس ١٩٣٥م).

أنا في غنى عن التنويه بعظمة هذا اليوم، فإن الله -سبحانه وتعالى- قد جعل اجتماع المسلمين فيه لأداء فريضة الحج الذي هو ركنٌ من أركان الإسلام من جهة، وللتعارف والتآلف من جهة ثانية.

وقد هدانا الله جل شأنه إلى الصراط المستقيم السوي في معاشي الدنيا والآخرة، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾، فالاعتصام بحبل الله واجبٌ على كل فرد من أفراد المسلمين؛ لأن العز كله والخير كله بذلك، فإذا نحن حدنا عن هذا السبيل خسرنا الدنيا والآخرة.

والحقيقة أن حبل الله -عز وجل- هو كلمة (لا إله إلا الله)، إذ لا معبود سواه فهو الأول والآخر، وعبادته باتباع ملة إبراهيم، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، فمن واجب الإنسان أن يعمل بما أمر الله به، وأن يُطيع مولاه صاحب النعمة عليه، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بما جاء في كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ.

وقد أرسلَ الله الرسل لهداية الأمم والشعوب، وإنقاذهم من الضلالة، وكانت هداية نبينا -عليه الصلاة والسلام- أن أرسله الله جل شأنه في أحسن القرون، وأن بعثه إلى أقدم الأمم، وقد أزال الله ببعث النبي الكريم الشبه والضلال فكانت بركة الله، ثم بركة رسوله علينا عظيمة لا تُعد ولا تُحصى.

وقد أمرنا الله تعالى على لسان نبيه بأمور عظيمة الشأن لو عملنا بها لكان حالنا اليوم غير ما نرى.

لقد جعل أركان الدين الحنيف خمسة وهي: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن مُحمدًا عبده ورسوله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»، فالله -سبحانه وتعالى- يأمرنا بالعمل بها مع الإخلاص النقي والنية الحسنة، فإذا صدعنا بأوامره -جل شأنه- كفَّر ذنوبنا وأولانا نعماءه فإذا فهمنا ذلك وعلمنا أن الخير بحذافيره فيما أمرنا الله وجبت علينا طاعته، وطاعته كما قلت هي الاعتصام بحبل الله، وذلك باجتماع المسلمين وتعاضدهم وتكاتفهم بأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، ولكننا أضعنا أوقاتنا في شقشقة بدون فائدة، لقد تراشقنا بالكلام فتنابذنا فكانت الفرقة هذه وكان الهوان، ولو تركنا هذه الأمور التي لا طائل تحتها لكانت رحمة ربي علينا عظيمة.

يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا، فعلى كل إنسان أن يُحاسب نفسه فيتجنب المعاصي والمنكرات ويتبع أوامر الله -عز وجل-... هناك أحزاب تتطاحن.... على أي شيء؟! لا أدري... لقد أدخل الشيطان وساوسه في عقولنا فتركنا حبل الله المتين فتفرقنا أيدي سبأ.

أمَّا نحن فتعرفون -يا إخوان- سيرتنا.... وليس لنا من المقاصد والغايات إلاَّ أن تكون كلمة الله هي العليا، نحن سرنا في الجادة ولم يكن عندنا مال ولا رجال، نحن أهل بادية، وإن ما ترونه اليوم لم يكن إلا من بركة الله تعالى، ونحن نعاهد الله ونقسم أمامكم على ذلك، وأننا لن نتنكب عن الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق، فإن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو أمر صغير في حد ذاته ولكنه كبيرٌ وعظيم، وهو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر به الله ورسوله.

إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم، ثم بعد ذلك أن يجمع كلمة العرب فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير، وإذا نحن أردنا ذلك فلسنا نروم إتمامه في ساعة واحدة؛ لأن ذلك يكون مطلبًا مستحيلاً، كما أننا لا نرمي من وراء ذلك إلى التحكم بالناس، وإنما غايتنا أنه إذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير فلا يكون لنا من ورائه شر على الأقل.

كلكم يذكر حوادث العام الماضي... وهذا السيد عبد الله بن وزير، وهذا السيد الحسن الإدريسي -الجالسان الآن إلى جانبي- ما كنا نظن أن يكون بيننا وبينهم عداوة وبغضاء، ولكن الأشرار فرَّقوا بيننا، والله -عز وجل- قد جعل هذا التباغض ألفة بيننا، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم.

لقد خشي المسلمون عاقبة التنابذ الذي حصل بيننا، ولكنه أفضى إلى خير جم طرب له المسلمون... جاء ابن الوزير إلى هنا... وحدثني في هذا المكان الجالس فيه الآن بشأن الخلاف... قلتُ له: ماذا تبغون؟ فإذا أنتم قتلتموني من يخسر؟ أنا وحدي؟ وإذا أنا قتلتكم من يخسر؟ أنتم وحدكم؟ لا... لا.. الخسارة علينا وعليكم على حد سواء، ولما عرفت أننا وإياكم متفقون على أن النتائج هي الفرقة والخسران، وأن هذا الخسران واقع علينا جميعًا، أمرت بالقرطاس والقلم وجلستُ أنا وإياه وحدنا، ووضعنا مواد المعاهدة التي اطلعتم عليها والتي قابلها المسلمون بارتياح، فإلى مثل هذا التضامن أدعو المسلمين إليه والعمل به.

أكثر الناس يقولون أن الأغيار هم الذين ضربونا في الصميم ففرقوا بيننا، هذا كلام... ماذا عمل الأغيار؟ الحق أن الضرر والخسران لم يأتِ إلينا إلا من أنفسنا فنحنُ المسئولون عن ذلك، نحن نسعى إلى التفرقة، ونحن نعمل للبغضاء.

أذكر لكم مثلاً بسيطًا يعرفه كل واحد منكم، إن صحفنا وجرائدنا إذا تكلمت عن مسلم أو عربي تكلمت عنه بشدة وقسوة ولاذع القول، ولكنها إذا تكلمت عن غربي تكلمت بأدب واحترام فلماذا؟

يا إخوان... يجب علينا أن نحترم أنفسنا ونتكاتف ونتعاضد، فإذا نحن سرنا على هذه الطريق وفقنا الله -سبحانه وتعالى- واحترمنا العدو قبل الصديق، يجب أن نداوي أنفسنا بطاعة الله -سبحانه وتعالى-، فطاعته مصدر كل عز وخير لنا.

هذا ما عنَّ لي ذكره، والله أسأل أن يوفقنا وإيَّاكم لصالح الأعمال.

أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقًا دائمـًا

بمناسبة انتهاء موسم الحج، وقرب سفر جلالته إلى الرياض أقام في جدة حفلاً تكريميًا لوجهاء المنطقة وأعيانها (**٢٥** محرم **١٣٥٥**هـ - ١٧ أبريل ١٩٤٦م)، وفي هذا الحفل ألقى جلالته الكلمة التالية:

عمدتنا في جميع أعمالنا على الله، وهو المدبر لكل ما في الوجود وعز الإنسان في دينه وشرفه، وكل عمل خالف الدين والشرف فاسد، والإنسان إذا دعا بدعوى أو قصد مقصدًا أو تكلّم بكلام، فعليه أن يوضح للناس الحقيقة ليكونوا على بينة من أمره، وهذا واجب على الإنسان لحفظ شرفه وحقه.

والمسلمون شرفهم الله بالإسلام، وهذه البقعة الطاهرة شرفها الله بالإسلام، وببيته العظيم، فهي أشرف البقاع، وهي في أصل التكوين بقعة مثل غيرها، ولكن وجود بيت الله فيها، وبعثة رسول الله ﷺ منها ونزول الوحي بها، كل هذا عظّم من أمر هذه البقعة فهي كما أنها قبلة العالم قدوة العالم أيضًا، والواجب على المسلمين عمومًا أن يعظموا هذه البقعة ويقدسوا هذه الأماكن الطاهرة، وتعظيم هذه البقعة تعظيم للإسلام، وتقديسها تقديس للإسلام ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾، ورسول الله ﷺ قدس هذه البقاع وعظّمها والأحاديث في هذا كثيرة.

الناس خلق الله وعبيده، وطاعة العبد لخالقه وسيده واجبة، فيجب على الإنسان أن يقوم بالواجب ليرضي الخالق، والمسلم من نظر إلى طريق الخير فاتبعه، ونظر إلى طريق الشر فاجتنبه، ودين الإسلام يأمر بالخير وينهى عن الشر.

الإسلام بني على خمسة أركان، لو تدبر المسلمون حكمها لوجدوا الخير كله فيها.

الركن الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحمدًا رسول الله، فـ(لا إله) نفي لكل معبود سوى الله، (إلا الله) إثبات العبادة له وحده، (وأن محمدًا رسول الله) إقرار بأن محمدًا رسول الله أرسله بدينه وكتابه إلى المسلمين، ولقد أدَّى رسول الله ﷺ الأمانة، وبلّغ الرسالة، فهو الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وهو من أعز أمة ومن أشرف قبيلة، رؤوف بأمته رحيم بها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

الركن الثاني: إقامة الصلاة... وإن الصلاة تنقي الإنسان من المعاصي كما يُنقى الثوب من الدرن حين تنظيفه، وهي مناجاة العبد لربه، وإن سورة الفاتحة التي يرتلها المسلم في كل صلاة من صلواته جامعة للحكم.

الركن الثالث: إيتاء الزكاة، وهذا عطفٌ من الغني على الفقير لمواساته، والزكاة من الأموال معناه تباركها ولا ضاع مال في بر أو بحر إلا من ترك الزكاة.

الركن الرابع: صوم رمضان... وإن فيه من الحكم الشيء الكثير، منها أن يدرك الغني مسغبة الجوع وألم الفقر ولوعته فيعطف على الفقير ويواسيه، والصيام لله، والله يجزي العبد «الصيام لي وأنا أجزي به».

الركن الخامس: حج بيت الله الحرام، وإن من حكم الحج اجتماع المسلمين للتشاور والتفاهم وجزاء الحج المبرور خروجه من ذنوبه كما ولدته أمه.

كل هذه من نعم الإسلام، أنعم الله بها على المسلمين، فيجب على الإنسان أن يتقبل نعم الله بالشكر؛ لأن الله ليس في حاجة إلى عبادتنا وصيامنا، وجميع أمور ديننا، بل هو غني عن كل ذلك وعن العالمين.

إن التناصح ضروري للمسلمين، ولكن يَجب على الإنسان ألا ينسى نفسه ليكون لنصحه أثر في القلوب ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

فالواجب على المسلم أن يحرص على دينه وعلى نصيحة المسلمين، وأن يقدم الخير على الشر، كل هذا من الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، والأمان جند من جنود الله، والخوف جند من جنود الله، فالإنسان لا يأمن إلاَّ بأمن من الله، ويجب أن تعتقدوا أن ما ترونه من الأمن الآن ليس هو إلاَّ نعمة من الله أنعم بها على المسلمين، فيجب علينا أن نشكر الله على هذه المنة الكبرى والنعمة العظمى، وأن أشد ما يخاف على المسلمين الشرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾، وإن ذنب الشرك عظيم وإنه محنة وبلاء، إنه كفر وليس بعد الكفر ذنب، فيجب أن يتنبه المسلمون.

إن التناصح للمسلمين واجب؛ لأن رسول الله ﷺ يقول: «الدين النصيحة». قالوا: لمن؟ قال: «لله، وكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»، والنصيحة لله اتباع ما جاء في كتاب الله، ولرسوله اتباع سنته، وأن نجزم بأنه رسول صادق فيما بلَّغ، وأن نأخذ ما أتانا به وننتهي عما نهانا عنه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، ولعامة المسلمين دلالتهم على طريق الخير والتوادد والتحابب إليهم.

والمقصد من اجتماعنا الليلة أن نتناصح ونتعاضد ويطلع كل منا على ما عند الآخر من جهة، ومن جهة أخرى لنودعكم لأننا على جناح سفر، وسنغادر هذا البلد قريبًا، وإنه ليعز علينا مغادرته ولكن المصلحة تقضي بهذه التنقلات، ثم هناك مسألة أحب أن أشرحها لكم؛ لأن في نفسي منها شيئًا.

أنا لا أحب أن أشق على الناس، ولكن الواجب يقضي بأن أصارحكم، إننا في أشد الحاجة إلى الاجتماع والاتصال بكم لتكونوا على علم تام بما عندنا، ونكون على علم تام بما عندكم، وأود أن يكون هذا الاتصال مباشرة وفي مجلسي لتحملوا إلينا مطالب شعبنا ورغباته وتحملوا إلى الشعب أعمالنا ونوايانا، إني أود أن يكون اتصالي بالشعب وثيقًا دائمًا؛ لأن هذا أدعى لتنفيذ رغبات الشعب، لذلك سيكون مجلسي مفتوحًا لحضور من يريد الحضور من الساعة الثانية إلى الساعة الثالثة ليلاً، وفي حالة

غيابي سيكون مجلس نائبنا مفتوحًا لهذه الغاية بدلاً من مجلسنا سواء كان في مكة أو في الطائف، وإذا كان في هذا مشقة على الناس إلا أن فيه مصلحة لا تخفى عليكم.

أنا أود الاجتماع بكم دائمًا لأكون على اتصال تام بمطالب شعبنا وهذه غايتي من وراء هذا الاتصال.

نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز....

* * * *

في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى

الكلمة التي وجهها جلالته إلى أعضاء مجلس الشورى، في دورته للعام (١٣٥٥هـ) (١٩٣٦م)، والتي ألقيت نيابة عن جلالته:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ.

أمَّا بعد:

فنفتتح -باسم الله- دورة مجلس الشورى الجديدة، طالبين من المولى -عز وجل- التوفيق والسداد لهيئته..

لقد قضت حكمة الله باجتماع المسلمين للنظر في مصالحهم باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه، وأمرنا بالتعاون على البر والتقوى، والتشاور والتناصح في مصالح البلاد والعباد، حيث قال في محكم كتابه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «الدين النصيحة»، ولذلك حرصنا منذ الساعة الأولى لتأسيس مجلسكم الموقر ليكون همزة الوصل بين الراعي والرعية، والترجمان الصادق بين الحاكم والمحكوم.

وقد انتهت بالأمس الدورة الخامسة من دوراته ولله الحمد، قام المجلس خلالها بالمهمة الملقاة على عاتقه، فكان مثال الجد والنشاط في أعماله، وموفقًا في قراراته التي كان لها أحسن الأثر في سير الأمور، والنهوض بالبلاد نحو الرقي والعمران.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه مرضاة وجهه، وأن يهدينا إلى طريق الخير والفلاح، إنه على كل شيء قدير.

❋ ❋ ❋ ❋

الدين الإسلامي الصحيح هو أساس الرقي

الكلمة التي ألقاها جلالته في الحفل التكريمي الذي أقامته أمانة العاصمة في مكة المكرمة على شرفه بمناسبة سفره إلى الرياض (١٩ صفر ١٣٥٦هـ - ٣٠ أبريل ١٩٣٧م).

يسرني دائمًا الاجتماع بكم، والتحدُّث إليكم، لِمَا في الاجتماع من فوائد، ولأن في الاجتماع أكبر المصالح، إلاَّ أني لا أود التكليف على الناس وتعطيلهم عن أشغالهم لِمَ في ذلك من الضرر.

وإن أشد ما يؤلمني ما كان فيه أقل ضرر على شعبي وبلادي، فإذا كلفنا عليكم اليوم فلا نقصد بهذا إلا التناصح والنظر فيما فيه مصلحة الأمة والبلاد.

إن الحياة المجردة عن الدين، والزاخرة بأنواع القوة ليست حياة، كذلك عظمة الملك وجبروته ليست بالحياة، وإنما الحياة الدين والتمسك به وإقامة حدود الله، فالحياة التي تسير على أساس الدين هي القوة، أما الحياة التي تسير على غير الدين فهي كالمطر الذي يقع على السبخة فلا يجدي ولا يُثمر.

إن الدين الإسلامي الصحيح في نظري هو أساس الرقي، ومن اعترضنا في ديننا أو وطننا قاتلناه ولو كان أهل الأرض، وإن الإسلام مَلَك علينا قلوبنا وكل جوارحنا ونسأل الله أن يُميتنا على الإسلام ويَحفظنا بالإسلام ويَحفظ بنا وبالمسلمين الإسلام.

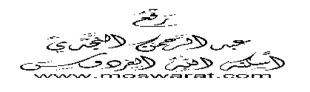
إن الاعتصام بكتاب الله وسُنة رسول الله هو القوة، وأشهد لله أن هذا الاعتقاد هو الحق، فلا تنفع قوة بلا دين، إن هذا أمرٌ مستحيل، وليس معنى هذا أن المتمسكين بالدين يَجب عليهم عدم الأخذ بأسباب القوة.... لا.. إن القوة واجبة ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فنحن كما ندعو

للتمسك بالدين ندعو للأخذ بأسباب القوة، لا لإلحاق الضرر بالغير وإنما للدفاع عن ديننا وبلادنا وشعبنا.

إننا نعرف مبلغ تمسك شعبنا بنا، وقد أوقفنا أنفسنا للدفاع عنه بأنفسنا وأولادنا وأموالنا، فلا يرى منا إلا كل ما يسر الخاطر، والإخلاص يدعونا أن نُبيِّن لأمتنا ما عندنا، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلاَّ بالله.

نسأل الله أن يربنا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم.

* * * *



الاعتصام بالله من صالح النفوس

الخطابان اللذان ألقاهما جلالته في الحفلتين التكريميتين اللتين أقامهما لكبار حجــاج بيت الله (ذو الحجة ١٣٥٦هـ - فبراير ١٩٣٨م).

في المأدبة المَلكية الأولى

مِنْ نِعَم الله علينا معرفة كلمة «لا إله إلا الله».

وكل إنسان يعمل بها تتم له السعادة، فهذه الكلمة هي كل شيء، ومضمون كل شيء.

فإن كلمة (لا إله) هي كلمة نفي، تنفي كل معبود سوى الله، وكلمة (إلاَّ الله) إثبات العبادة له -سبحانه وتعالى-، وهو -سبحانه وتعالى- خلق الخلق وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وكلهم يدعون إلى الله، وآخر من أرسل هو صفوة الأولين والآخرين وسيد أهل السماوات والأرض وأفضل جميع المخلوقات محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وكل إنسان لا يؤمن بكتاب الله ويعمل بحكمته ويؤمن بمتشابهها فهو ضال... وكل إنسان لا يؤمن بمحمد وبما جاء به محمد ويصدقه بالأقوال والأفعال ويكون أحب إليه من نفسه وماله فهو ما عرف الله ولا آمن به...

ولقد أوذي النبي ﷺ، وفعل قومه فيه الأفاعيل فقال له الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، و«الكوثر» نهرٌ في الجنة مَنْ شَرِبَ منه شربةً لا يظمأ أبدًا، و«صلِّ لربك وانحر» معناها أن العبادة والنحر لله -سبحانه وتعالى- ولا تجوز لغيره.

لقد افتتح الله كتابه الكريم بهذه السورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، أي توجيه الحمد لرحمن الدنيا ورحيم الآخرة، ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: تثبيت وجود البعث في ذلك اليوم الذي قال عنه: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ معناها: معاهدة الإنسان ربه على العبادة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: يوحدون، وبعض أهل الضلال قالوا: يا رسول الله ما نعبدهم.... قال: «ألم يأمروكم فتطيعوا؟» فإذا قلت: «إياك نعبد» معناها: لا تعبد إلا الله، وآمنت بما جاء في كتابه، وما جاء به الرسول وأحببت من أحب الرسول وصدقته وهو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وطاعة الله هي محبة الرسول وما جاء به من السنة، والمسلم يُحب لأخيه المسلم ما يُحب لنفسه، والمسلم يفرح بعبادة الله وطاعته ولو من عدوه، ويكدره ما أغضب الله ولو من عمل نفسه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.

فلمَّا مَنَّ الله على عباده بالإسلام أرشدهم إلى العبادة، ولكن الناس اختلفوا، وقد قال النبي ﷺ: «**افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة**». وهذا دليلٌ على أن كل إنسان يفترق عمَّا جاء به الرسول هو في النار، والنار يؤبد فيها المشرك والكاذب على رسول الله ومبغض رسول الله، وأمَّا أهل الكبائر وسائر الذنوب فمنهم من يبقى كثيرًا ومنهم غير ذلك فرحمة الله وسعت كل شيء، كما أن المسلم لا يضمن للمؤمنين النجاة ولكنه يرجو للمسلم الموحد الخير، ويخاف على الآخرين من أهل الضلال، والمسلم لا يَجوز له أن يطلق الكفر على أمة بحالها، فهذا على الإطلاق لا يَجوز، والناس مُختلفون، ولو أن الله توعدهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾ الآية، وفي معنى الحديث ما حق الله على العباد، وحق العباد

على الله، حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به، وحق العباد عليه -سبحانه وتعالى- ألاَّ يعذبهم.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ فعلَّق لقاء ربه بعدم الشرك، وقد قال النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمتي الشرك**».

يقول بعض الضالين إن القرآن مثل الأترجة، وقد عصره العلماء فلم يبقوا منه شيئًا، والحقيقة أن القرآن قدوة الناس إلى يوم القيامة، وهو ينفع حافظه في ذلك اليوم العسير.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ من كان من علماء هذه الأمة وكذب على الله ورسوله وغيَّر ما جاء به الرسول فهو مغضوب عليه، وقد قال النبي ﷺ: «**أخاف ما أخاف على هذه الأمة الخوارج عليها من الذين تركوا المحكم وفسروا المتشابه وبهذا ضلوا**»... فيجب أن نؤمن بكتاب الله وبمتشابهه ونؤمن بما جاء به محمد ﷺ، ومن الناس من يقول آمنا ولكنهم يسبون أهل بيته ويسبون عمر وعثمان وأصحابه، وكيف ذلك وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»... ولا نستطيع أن نفعل ذلك إلاَّ باتباع سُنة رسول الله والسلف الصالح من الذين هاجروا مع النبي وجاهدوا في سبيل الله، فكل إنسان لا يحب الله وكتابه ورسوله فهو ضال، والكلام في هذا يطول، وأنا لستُ بعالم، ولكن الحق برهان والذي نمشي عليه هو طريق السلف الصالح، ونحن لا نكفِّر أحدًا إلاَّ من كفَّره الله ورسوله، وليس من مذهب سوى مذهب السلف الصالح، ولا نؤيد بعض المذاهب على بعضها، فأبو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل أئمتنا، ومن وجدنا الحديث الصحيح معه اتبعناه، فإن لم يكن هناك نص وإنما هو الاجتهاد في الفروع فنتبع اجتهاد أحمد بن حنبل، والأصل كتاب الله وسُنة رسوله، لا نفضل أحدًا على أحد، ولا كبيرًا على صغير، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، ولا فضل لعربي على أعجمي إلاَّ بالتقوى، وهل يقبل العقل أن هناك من هو أفضل من محمد ﷺ، وأن هناك قبيلة أعز من قبيلة محمد ﷺ وهي

قريش؟!، ولكن النسب لا يُغني عن الإنسان شيئًا، ولولا ذلك ما عز سلمان الفارسي وبلال، وما لُعِنَ أبو جهل وأبو لهب، والفضيلة في الدين والرجال، والعزة بالله لا بالحسب والنسب كما تقدم القول ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

والتقى ليس مجرد السجود، ولكن بالتفرقة بين الحق والباطل، فالإنسان منكم حين يدخل السوق لمشتري متاعه كيف يُفرِّق بين الطيب والخبيث؟ فإذا كان يفعل ذلك في أغراضه البسيطة فيجب أن يفعله في بدنه ونفسه فما الإنسان إلا جيفة قذرة تحمل العذرة في عظام نخرة.

ومن قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» ولم يقل: «وأشهد أن محمدًا رسول الله» لا تُقبل منه، وكل إنسان يدعو ولا يُصلي على الرسول فهو ضال، وكل من لا يرجو شفاعة محمد ﷺ لا يدخل الجنة، ومعنى طلب الشفاعة أن تقول: يا رب محمد شفِّع فينا رسولك محمدًا ولا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى، وكلنا نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يُشفِّع فينا رسوله الكريم.

يقولون «التمدن»، و«الحرية».. وهل هناك أعظم من التمدن الذي ورد في كتاب الله من اتباع كل خير، وتجنب كل شر؟ وهل هناك حرية أكثر من قوله ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي إلاَّ بالتقوى»؟!

أيها الإخوان... إنكم قد أتيتم من بلاد بعيدة، وضربتم في البحار ترجون رحمة الله، وهي قريبة إذا رجوتموها، وهذا هو الخير والرحمة، وليس لكم عندي إلاَّ ثلاثة أمور:

الأول: النصيحة، فيما يوافق كتاب الله وسُنة رسوله.

والثاني: أني أَشْفَقُ عليكم من أهلكم وعيالكم وأرجو الله -سبحانه وتعالى- أن يتقبل منكم.

والثالث: أن أسهر على مصالحكم وأرعى شئونكم:

نسأل الله أن ينصر دينه، ويُعلي كلمته، ويؤيد الإسلام، ويوفق المسلمين إلى ما يُحبه ويرضاه.

في المأدبة الملكية الثانية

مِنْ نِعَم الله علينا أنه -تبارك وتعالى- أرسل إلينا النبي الكريم محمدًا ﷺ أفضل من في السماء ومن في الأرض، وأرسل كتابه مع أمين السماء جبريل إلى أمين الأرض محمد ﷺ، وبعثه من أشرف أمة وهي أمة العرب، ومن أشرف بقعة وهي البلاد المقدسة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وهل أعظم رأفة ورحمة من تقرب العبد لربه وابتعاده عما يغضبه؟ لقد كانت الصلاة فرضت خمسين مرة في اليوم والليلة، ولكن خففت إلى خمس، وهذا من لُطف الله ورحمته، وبركة محمد ﷺ، كما أن ثواب الخمسين صار في هذه الخمس...

والصلاة فوائدها عظيمة، وهي أفضلُ في الإسلام بعد الشهادتين؛ لأنها تغسل النفس من الدرن كما تغسل الجسم بالماء وتطهره.

وكل صلاة إذا قبلت يغفر الله بها الذنوب إلا الكبائر، فيجب على المذنب أن يتوب عن ذنبه ويطلب المغفرة من الله..

والإنسان يجب عليه ألا يقنط من رحمة الله، ولا يغتر بها، فإن الله غفور رحيم شديد العقاب لمن يشاء ويُعذب من يشاء، وفرض الله علينا الصيام في شهر مبارك والصيام لطف من الله بعباده؛ لأن من خصائصه الحسنات فلا تداخله السيئات، ثم فرض علينا حج بيت الله الحرام، والحقيقة أن الحج إذا قبل غفر الله به الذنوب، وفوائد الحج كثيرة لا تُحصى، أولها أن الإنسان يؤدي فرضًا عليه لربه، وثانيها أنه يجمع الخلق لمصلحتهم وتعارفهم، وثالثها أنه يذكر الناس بيوم القيامة، فإذا عرفنا ذلك وجب ألا نقنط من رحمة الله، والمذنب يتوب ومن تاب تاب الله عليه، وباب التوبة أمام ابن آدم مفتوح حتى يوافيه أجله أو تقوم الساعة.

ويجب على الناس أن يعتصموا بحبل الله ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ فالاعتصام بالله من صالح النفوس، وبه يحصل الأمن والاطمئنان على النفس والمال، وهو الحصن الحصين للإسلام والتفرق فيه الخذلان والشقاق.

فإذا عرفنا أن الفضيلة في اتباع القرآن وما جاء به محمد ﷺ، وأن الله مَنَّ علينا بشفاعة نبيه، وجب علينا أن نعرف عروبتنا لأننا مسلمون قبل كل شيء، وحقيقة العروبة لا ننساها مهما تطورت الدنيا وتزخرفت، وابن آدم هو بشر على كل حال، ولولا حب الدنيا ما عمر الكون، وكل عمل مقدر على الإنسان أن يعمله، ولكن ليس معنى ذلك أن يحمل كل ما يقع منه على القدر، بل يرجع إلى ربه بالتوبة.

ويجب على الإنسان أن ينظر في نفسه وحالته ويختبرها، فإن وجد نفسه من الذين منَّ الله عليهم بالدين والإيمان وحفظ الشرف فليشكر الله ليزيده، وإن رأى خللاً في دينه أو وطنه أو شعبه أو بلده فليبحث عن الأسباب ويتقيها، فإن لكل شيء سببًا. والتكاسل والاتكال لا ينفعان، فهذه الشريعة أمرتنا أن نركب وأن نرمي وأن نستعد ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾... فإذا عرف الإنسان حقيقة حاله يَجب أن يَجتهد في علو نفسه وحسن سمعته، فنحن عرب ولنا أن نفتخر بعروبتنا، نفتخر بديننا، نفتخر بدعوة محمد ﷺ... نفتخر بالإسلام ونجعله شعارنا، وبعد الإسلام نفتخر بالعروبة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، ولا فضل لعربي على عجمي إلاَّ بالتقوى، والإسلام سوَّى بين المسلمين جميعًا؛ لأنه هو الرابطة الحقيقية التي ربطت بين أرواحنا، هو رابطة الأخوة الثابتة التي لا انفصام لها.

إن نعم الله كثيرة على هذه الأمة، منها أننا جئنا آخر الأمم، ويوم القيامة نكون أول أمة، ومنها أن الله -سبحانه وتعالى- فضَّلنا بشفاعة محمد ﷺ، وفضَّلنا بورود الحوض الذي لا يظمأ شاربه، فيجب ألا تلهينا الدنيا وزخارفها عن ربنا وديننا، ومنها أن الله -سبحانه وتعالى- قد أنعم علينا بدين الإسلام وفيه كل الحرية، وهل الحرية إلا أن تكون حرًّا في نفسك؟ وهل الإسلام ملك أحدًا أو استعبد أحدًا؟! وهل سمعتم

أبلغ من قصة النبي ﷺ يوم اشترى فرسه فجاء أعرابي وقال له: إنني اشتريتها قبلك، فقال ﷺ: «**من يشهد لي؟**» فقال واحد من العرب: أنا أشهد لك... فقال له: «**وكيف تشهد لي وأنت لم تكن حاضرًا؟**» قال: وكيف لا أشهد لك وأنا أشهد لك وأصدقك وأطيعك وأصدق فيك خبر السماء ولا أصدقك؟... فليتأمل الإنسان فضل الرسول وتواضعه وحرية الأعرابي معه، هل سمعتم أن ملكًا من الملوك يفعل هذا مع رعاياه؟! فما أجل هذه الحرية التي تسوي بين الكبير والصغير.

والحرية أن يكون الإنسان حرًا فيما يَملك، ولك أن تتصرف في مالك كما تشاء إلا ما حرَّمه عليك ربك، الدين لم يُحرم علينا أن نلبس لباسًا جميلاً أو نظيفًا، وقد طلبَ النبي ﷺ الفسحة في داره وقال: «**وسع لي في داري**»، وسئل الرسول ﷺ فقيل له: إن أحدهم يلبس لباسًا جميلاً، وأن يكون نعله كذلك؟ فقال: «**إن الله جميل يُحب الجمال**»، فالحرية في الإسلام مكفولة إلا ما حرَّم الله، فإذا عرفنا حكمة الله وحقيقة أمره عرفنا أنه العدل الذي لا عدل سواه، وأنه بعث إلينا أشرف مخلوقاته ويجب علينا أن نقدر نعمته وأن نشكره عليها حق شكره.

ويجب على الإنسان أن يحب دينه قبل كل شيء، ثم يُحب وطنه وشعبه، لقد قام الناس يُقلدون أوربا في القشور وفي الأخلاق والتقاليد مع أنهم ما قلَّدونا في شيء من هذا، وإنما هم قوم حزموا أمرهم فإذا عرفوا أننا متفرقون ومتنابذون احتقرونا، فيجب أن نتجنب كثرة الكلام، وأن نتحلى بالحزم والتناصح فيما بيننا، وأن نترك التفرق ونكون يدًا واحدة ونجتمع على كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

هذه هي الحقيقة... وهذا هو النصح الذي أنصح نفسي وأنصحكم به، وأنا رجل لا أعرف تزويق الكلام وتنميقه؛ لأنني لم أتخرج مثلكم من مدارس، وإنما أنا رجل مسلم وأحب أن أؤدي واجب النصح لإخواني المسلمين فلا نضع ذنبنا على غيرنا، يَجب أن ننقي أنفسنا وننقي عنها الدرن، وننظر في إصلاح ذات بيننا وننصر الله فينصرنا... أسأل الله أن ينصر دينه ويُعلي كلمته ويعز الإسلام والمسلمين...

على كل مسلم أن يأمر بالتآخي والتآزر

الخطاب الذي ألقاه جلالته في الحفل السنوي التكريمي لكبار الحجاج في العاشر من ذي الحجة (١٣٥٩هـ)، (٩ يناير ١٩٤١م).

إن الأمر لله، وما تشاؤون إلاَّ أن يشاء الله، والأيام كلها عِبَر للمعتبر، وعلى المسلمين أن يتفكروا في عبر الزمان، وانظروا كيف أن أوربا العظيمة بمدنيتها التي أقامتها أصبح ما أعدوه كله ضد مدنيتهم ولخرابها.

وهذا الموقف يسترعي الانتباه التام، فإذا نظرنا للحال الواقع نرى أن دهاة أوربا ورجال سياستها بقوتهم وعقولهم، ما تمكنوا أن يدفعوا الشر عن أنفسهم، والشر لم يتول عنهم، ذلك قضاء الله وقدره لم تنفع فيه حيل السياسة ولا نفعت المدنية.

إن كل إنسان يجب ألا يقف هذا الموقف، وأن يكون في نجوة عن هذا النزاع، لذلك يجب على المسلمين عامة والعرب خاصة أن يتمسكوا بعرى الإسلام حتى لا تذهب ريحهم، وأهم ما يَجب عليهم القيام به هو معرفة الله ونصر الله، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

ويجب على المسلمين أن يتفقوا ويتناصحوا في ظاهر الأمور وباطنها، وهذا لا يكون إلاَّ بالعناية الشديدة بالإصلاح، وبنفوس طيبة؛ لأن الدعوة ولو كانت عظيمة وظاهرها كبيرًا فلا تُفيد إلاَّ بالنية الصالحة؛ لأن الأعمال بالنيات.

وكل شخص من هذه الأمة عليه أن يبذل حياته فيما ينفعه، وإني ما أرى في حالة العرب والإسلام انتباهًا تامًا ولا تأهبًا فيهم لأن يحذوا حذو أسلافهم حتى ينالوا بعض مقاصدهم أو بعض مطالبهم، تلك المقاصد التي لا يُمكن أن يُدركوها إلا بالصدق فيما بينهم، وإني لا أزال أرى آثار التفرق والتخاذل ظاهرًا وباطنًا، وإني إذ

أقـول هـذا أشعر بألم يحـز في النفس، ولـكن القلوب الطيـبة تعـرف بأني مـا أردت إلاَّ الصدق.

إني أدعو إلى الاتفاق والاعتصام بحبل الإسلام، وليس معنى قولي هذا أن يفهم منه أنني أدعو المسلمين إلى التعصُّب وقتال أوربا، فهذا قول لا فائدة فيه، بل أقول اليوم يجب علينا التناصح وعدم التحاسد، وأن نسعى لما يحفظ قوانا، وأن نكون ضد كل شخص يعمل ضد الإسلام.

لقد تـكلم معي كثيرون من الأوربيين، وقالوا لنا إن حكـومتنا تكـرم الـرجل الصـادق الذي يقوم بحـق بلاده، فإذا صدقنا في أعمالنا وقمنا بحقوق بلادنا احترمنا القريب والبعيد.

وكل ما ندعو إليه هو جمع كلمة المسلمين واتفاقهم ليقوموا بواجبهم أمام ربهم وأمام بلادهم، والذي نشهد الله عليه ونحن أوسطكم في الإسلام وأوسطكم في العروبة أننا ما ننام ليلة إلا وأمر جميع المسلمين يهمنا، يهمنا أمر إخواننا السوريين، وأمر إخواننا الفلسطينيين، وأمر إخواننا العراقيين، وإخواننا المصريين، تهمنا حالتهم ويهمنا أمرهم، ويزعجنا كل أمر يدخل عليهم منه ذل أو خذلان؛ لأننا نرى أنهم منا ونحن منهم، كما تهمنا جميع بلاد المسلمين، وإننا لنرجو الله أن يوقظ المسلمين من غفلتهم ليتعاضدوا ويتعاونوا.

يجب على كل مسلم أن يأمر بالتآخي والتآزر لتكون كلمة الله هي العليا، وأن تكون مصداقًا لقوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان**»، فالغفلة غير طيبة، وإني أخاطب إخواننا في مصر والعراق وسوريا وفلسطين فنقول لهم إن المصلحة واحدة والنفوس واحدة. ..

نسأل الله أن يعز المسلمين، وأن نراهم بخير وسعادة وهناء. . . .

* * * *

يجب أن نتمسك بحبل الله

الخطاب الذي ألقاه جلالته في العاشر من ذي الحجة (١٣٦٢هـ)، (٧ ديسمبر ١٩٤٣م)، في الحفل التكريمي التقليدي لكبار الحجاج.

من أكبر نعم الله على المسلمين أن جعل أركان الإسلام تلك الأركان الخمسة التي أولها كلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، تلك الكلمة العظيمة الجليلة التي لأجلها كانت الجنة والنار والثواب والعقاب، وكلمة الشهادة هذه تنقسم إلى قسمين (لا إله) تنفي العبادات جميعها عن سوى الله، (إلا الله) إثبات العبادة له -سبحانه وتعالى-، وهي تشتمل على حكم ربانية باهرة، وبعد الإقرار لله بالوحدانية لابد من الإقرار برسالة محمد ﷺ؛ لأن من يقول: (لا إله إلا الله)، ولم يقل: (محمد رسول الله) فقد كفر.

ومن يصلي ولم يصلِّ على النبي لم تُقبل صلاته، ثم هي أَمْنٌ مِنَ الشرك، وقد قرن الله تعالى ذكر محمد باسمه، وله سبحانه العظمة والكبرياء لأنه لا معبود سواه، وهذا ردٌّ على من دعا الرسول أو طلب منه شيئًا؛ لأنه ليس له من الأمر شيء والأمر كله لله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

وكل شخص لا يرجو شفاعة محمد ﷺ فهو كافر، ولكن الشفاعة لها طرق، وهي أن يدعو الله أن يشفع فيه نبيه فيقول: «يا رب شفع فيَّ محمدًا»، ويسأله أن يشفعه فيه.

وأمَّا العبادة فلا تُصرف إلاَّ لله وحده، لا لملك ولا لنبي مقرَّب ولا لنبي مرسل، ولا تخفى عليكم الآية الكريمة التي وردت في آخر سورة «الذاريات» في قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ومعنى (يعبدون): أي يوحدون، فالتوحيد خاص بالله تعالى، والعبادة لا تنصرفُ إلاَّ إليه، والرجاء والخوف والأمل كله بالله ولله، وما بعث محمد ولا أرسل الرسل ولا جاهد المجاهدون إلا لتوحيد الله تعالى.

ثانيًا: إقامة الصلاة، وهي شرطٌ لازم للإسلام ومن لم يصلِّ لا إيمان له.

ثالثًا: إيتاء الزكاة، والزكاة فضل من الله وهي زكاة الأعراض وزكاة الأموال، وبها يسعد الناس ويشعرون بشعور بعضهم.

رابعًا: الصيام... فصيام شهر رمضان فضل من الله؛ لأن الأعمال كلها تُعرض على الله يوم القيامة ويُحاسب عباده، إلا الصيام فإن الله يقول عنه: «إنه لي وأنا أجزي به»، وهو فضلٌ من الله أيضًا لأنه جعل هذا الشهر المبارك تكفيرًا للسنة كلها، علاوة على أنه يشعر الغني بحالة الفقير، ويبعث في قلبه الرحمة له والعطف عليه حتى يفزع إلى مساعدته ومعاونته ومؤازرته وفي ذلك من جميل التعاون ما فيه.

خامسًا: حج بيت الله الحرام، وقد جعل الله الحج من فضله علينا ولو مرة في العمر، وفيه حكم كثيرة، منها أن الناس يعبدون الله ويفردونه بالتوحيد منزهًا عن عبادة غيره؛ لأن المقصود من مناسك الحج كالطواف حول الكعبة وغير ذلك هي إفراد الله -سبحانه وتعالى- بالعبادة.

ومن حكمه أيضًا أنه يُذكر الناس بيوم القيامة؛ لأنه مثل الحشر، حيث يزدحم الناس مُجردين من دنياهم ومن مخيطهم في لباس واحد وحالة واحدة، ومن حكمه أيضًا أنه جعل المسلمين يتعارفون وأن قيمة التعارف وحكمته وأهميته لا تَخفى على أحد.

ولا أريد أن أطيل عليكم في هذا الإيضاح، فكلكم -بحمد الله- تعرفونه وتُدركونه وما أردت إلاّ تذكيركم، وإنما الأعمالُ بالنيات ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.

أما العبادة التي لغير الله فأصحابها كما وصفهم الله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾، فكل خشوع لغير الله أو خضوع لغير الله يوقع صاحبه في المهالك عياذًا بالله قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ذلك رسول الله أنزل عليه الله كتابه مع أمين السماء جبريل، فمن شك فيما جاء به محمد فهو كافر، والمهم أن يكون ما يرد عن محمد صلوات الله وسلامه عليه صحيحًا وثابتًا عنه، والإمام أحمد علم أولاده مئات الأحاديث المزورة ليجتنبوها لأن كثيرًا من الأحاديث موضوعة -وضعها أهل الزيغ- أولئك الذين اخترعوا الكلام وتكلموا في متشابه القرآن وفي تأويله، ومن لم يعمل بما جاء في كتاب الله فهو كافر؛ لأنه لما انتشر أهل الزيغ وفسدت العقائد اختلف الناس إلى فرق وشيع، فافترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وقال ﷺ: «ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة» قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

وقد أيَّد الله الإسلام والمسلمين بهذا السلف الصالح، وهم الخلفاء الأربعة ورجال السلف الصالح، وأنتم -يا أهل الأمصار- ما تملكتم الأمصار إلاَّ بفضل الله وبالإسلام وعزته، فإنكم في الحقيقة عرب وأنتم من أصل هذه البلاد، خرج أجدادكم إلى الأمصار ففتوحها فأنتم أصل واحد وترجعون إلى نسب واحد، فإذا عرفنا ذلك وجب علينا أن نعرف أنفسنا كل المعرفة وأن نواجه الحقائق، وذلك بإطاعة أوامر الله واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

فالذي يتمسك بكتاب الله فقد نَجا من هول الآخرة، والذي يتركه يَهلك، وكل شخص يأتي يوم القيامة وهو متأسف محزون، فالمحسن يتأسف على ما فاته من زيادة في الأعمال الصالحة، والمسيء يَحزن على ما فرَّط منه في دنياه من الأعمال

السيئة، وأنتم أعلم بما أقول، ويَجب علينا -معشر المسلمين- من عربي وعجمي أن نتمسك بعبادة الله، وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلاَّ بالتقوى.

وقد أعز الله الإسلام بسلمان الفارسي وبلال، وأذل الشرك بأبي جهل وأبي لهب، ولم تنفع هؤلاء قرابتهم من رسول الله ولا عمومتهم وذهبوا إلى النار، وهذا فخر للإسلام لأنه لا يبالي بالأحساب والأنساب، وليس معنى هذا أن يترك الإنسان نسبه بل يَجب عليه أن يعرفه ولا يفتخر به، بل يفتخر بطاعة الله وبالإسلام الذي ينتسب إليه،فإذا عرفنا هذا يَجب أن نعرف أن لكل زمان حالاً، وحالة زماننا هذا لا تَخفاكم، وتقلباته الواقعة لا تكاد تَخطر على العقول ولا يُمكن تصور أحداثها، وما يتطور منها في الجو أو البر أو البحر، والله وحده هو الذي خلق كل شيء، ولقد أحاطَ بنا قوة من خلق الله من قوم عملوا ما عملوا بعلم الله لأنه -سبحانه وتعالى- لا يُطاع إلا بإذنه، ولا يُعصى إلاَّ بعلمه، فيجب علينا أن نرد الأمر كله لله، وأن نعرف أننا نعيش في شيء اسمه (الدنيا)، وأن نعرف أين من سبقونا من الأمم وماذا صار من أمرهم، هم السابقون ونحن اللاحقون، ونحمد الله على أن المسلمين نشأت فيهم روح طيبة وهي روح تبشر بزيادة الخير للمسلمين؛ لأنه ما بينهم تخالف ولا تنافر ولا تخاذل.

والاتحاد العربي، أو الاتفاق العربي، الذي يتكلم فيه الناس روح طيبة وعمل طيب وأقل مراتبه أنه يجمع الكلمة، ولابد أن إخواننا الذين تكلموا معي من المصريين أو السوريين عرفوا ما قلت من أنه يجب علينا -نحن المسلمين- أن نتخذ لنا جامعة من عقلائنا الذين ليست لهم مطامع، حتى تلتئم الأحوال، وهذا هو رأيي من الأول وبيناه في الاجتماع الأخير، وإذا نحن أرجعنا الأمر إلى بابه فيجب أن نتمسك بحبل الله، وأن نتمسك بما كان عليه السلف الصالح، فإذا تمسكنا بذلك نكن كلنا من دعاة الله وتنطبق أمورنا على ما جاءنا من عند الله، ونتكلم في أمورنا واقتصادياتنا على موجب تقوى الله لعله يلطف بنا، وإن لم نفعل ذلك واتكلنا على أنفسنا فقط كنا كما قال علي -رضي الله عنه-: «نسوا الله فنسيهم»، قال: «إن الله لا ينسى، ولكن إذا ترك

العبد ربه تركه ربه فانقاد للمعاصي»، وقال تعالى فيما روي عن رسوله ﷺ: «**وعزتي وجلالي ما اعتصم عبد بي دون غيري وكادته السماء والأرض ومن فيهن، إلا جعلت له من بين ذلك فرجًا ومخرجًا، وعزتي وجلالي، ما اعتصم عبد بأحد سواي إلاَّ قطعته إربًا لا أبالي بأي وادٍ هلك**».

فعلىٰ المرء أن ينظر في حاله وفي أعماله، فإذا وجدها مطابقة للشرع علم أنه علىٰ صراط مستقيم، وقد مات محمد، ومات الأنبياء ولم يبق إلا العمل الذي يكافأ عليه الإنسان بالنار أو الجنة، والجنة رحمة والنار عدل، فيجب أن نعتصم بحبل الله تعالىٰ وأن نعمل بالسعي ولا سعي إلاَّ بتوفيق الله ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، والحزم لا يكون إلا بالتوحيد، ومسألة الوحدة العربية هي رعاية لصالح كل مسلم وكل عربي، ولكني أرىٰ، وفي رأيي الذي أدين عليه أنه لا يتم شيء في الدنيا إلاَّ بالعمل الصالح.

وإن توفيق الله هو المقدم والنافذ، بالأمس كان الألمان علىٰ أبواب العلمين وكان الجميع في اضطراب مستمر، فلم يمض إلا عشية أو ضحاها حتىٰ انقلب الحال غير الحال وأصبحوا في الأماكن التي تعلمون، حيث تغلبت القوات البريطانية وحلفاؤها، والله علىٰ كل شيء قدير، فهذا من قدرة الله وتدبيره، وأمر الله بين الكاف والنون (كن فيكون)، والقوة وحدها لا تنفع ما لم تكن مؤيدة من الله -سبحانه وتعالىٰ-.

أتمنىٰ من سائر إخواننا العرب أن يبذل كل منهم جهده فيما ينفع جميع المسلمين وجميع العرب؛ لأنه لابد لنا من الاتفاق لما يحفظ بلادنا وجميع بلاد المسلمين، وأن نطلب من الحلفاء أن يؤيدوا استقلال البلاد المستقلة، وأن يساعدوا البلاد التي لم تستقل لنوال استقلالها، ونحن في عملنا ومصادقتنا للحلفاء إنما نصادق أنفسنا ونحب أنفسنا حتىٰ يبتعد الشر عنا، فإن الجامعة الحقيقية التي يمكن أن تفيدنا وينصرنا الله بها هي الاعتصام بحبل الله والإيمان الخالص.

نسأل الله التوفيق، وأن ينصر دينه ويُعلي كلمته، ويعز الإسلام والمسلمين...



السكوت عن قضية فلسطين

لا يوافق المصلحة

الخطاب الذي ألقاه جلالته في المأدبة الكبرى التي أقامها لكبار الحجاج في مكة المكرمة (٩ ذي الحجة ١٣٦٤هـ - ١٥ نوفمبر ١٩٤٥م)، وقد خصص الجانب الأكبر من خطابه للحديث عن قضية فلسطين حاثًا على العمل الجاد لإنقاذها، موجّهًا تحذيرًا صريحًا إلى بريطانيا وأمريكا بعدم مساعدة اليهود على العرب وعلى ضرورة وقوفهما على الحياد إذا لم يكونا يريدان مناصرة الحق العربي، ويلاحظ أن هذه النظرة السياسية الواقعية هي نفسها النظرة التي تنظر بها السياسة العربية الحالية في صراعها مع الصهيونية من ناحية مطالبة الدول المناصرة للصهيونية بالوقوف على الحياد إذا لم تكن ترغب في الوقوف إلى جانب الحق والعدل، قال جلالته:

إننا معشر المسلمين يجب علينا أن نعتصم بحبل الله تعالى، وأن نتمسك بسُنة نبيه محمد ﷺ، ونتبع هداه ونعمل بأوامر الله تعالى وننتهي بنواهيه، إن كل كلام لا يتبعه فعل فهو باطل ولا صلاح للمسلمين إلاَّ باتِّحادهم واتفاق الكلمة على توحيد ربِّهم، وكل خلاف يَجر إلى فرقة وانقسام، والدين يأمرنا بالتمسك بشريعة الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، كما قال تعالى في مُحكم تنزيله، وأن نعرف ربنا حق المعرفة ونستعين به على استجابة دعاء الرسول لنا.

نحن لا نَخشى إلاَّ من ذنوبنا، ويَجب على المسلمين أن يعتصموا بالله ويتخذوا الإسلام دينًا ففي ذلك صلاح دنياهم واستقامة أمورهم.

إن مسألة فلسطين هي أهم ما يشغل أفكار المسلمين والعرب في هذه الأيام، وهي المسألة التي يَجب أن تكون موضع عناية الجميع ومدار اهتمامهم، ومع أنني لا

أحبُّ كثرة الكلام وأفضل على الدعاية العمل الصامت المثمر، فإنني أقول بصراحة أن السكوت عن قضية فلسطين لا يوافق المصلحة، وقد سبق لي أن تكلمت مع أركان الحكومة البريطانية كما تحدثت مطولاً مع الرئيس روزفلت، وذكرت بكل صراحة الحيف الذي أصاب إخواننا عرب فلسطين والإعنات والقهر اللذين خضعوا لهما، وطالبت وطلبتُ من الرئيس الراحل إنصاف عرب فلسطين، إن لم يكن بالمساعدات الفعلية فعلى الأقل بالوقوف على الحياد وعدم مساعدة اليهود عليهم؛ لأنه ما من شك في أن الحركة الصهيونية تجند الأنصار والأتباع بالدعايات الواسعة في كل بلاد العالم، بينما أن العرب ليس من يعضدهم إلا الله ثم حقوقهم الصريحة في أوطانهم، وأن الحق والعدل والإنصاف تقضي بعدم إعانة اليهود على العرب، وأنا لا أخشى اليهود لأن الله -سبحانه وتعالى- قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة، فإذا كنا متمسكين بمعتقدنا عاملين بأوامر ديننا بإذن الله لا نخشى اليهود ولا نبالي بهم؛ لأن الله تعالى معنا، وهو ناصر دينه ومُعْلٍ كلمته إن شاء الله.

إن الصهيونيين باذلون أقصى ما عندهم من جهود للتأثير على الحكومة البريطانية والرأي العام البريطاني لتبديل السياسة البريطانية بما يوافق منافعهم ومطامعهم، وهم لم يستنكفوا -ولا يستنكفون- عن مقابلة إحسان الإنجليز الذين أحسنوا إليهم وساعدوهم في فلسطين بالإساءة، فضربوا بذلك المثل الصريح على نكرانهم للجميل ونسيانهم للأيادي البيضاء، وقد أصبحوا يهددون الإنجليز من غير تورع ولا وجل، ولذا فإننا نعتقد أن البريطانيين لا يُدركون الآن تَمام الإدراك المخاطر التي تنطوي عليها سياسة مجاراة اليهود في مطامعهم السياسية الواسعة.

فإن وجدنا أن العدل والإنصاف قد ضمنا، وأن حقوق الوطنيين في بلادهم التي لا ينازعهم فيها منازع لا يشاركهم فيها أحد فهذا هو أملنا، وإن كان الأمرُ غير ذلك فالواجب يقضي علينا ألا نجشم أنفسنا عناء قتال اليهود، لأننا لا نراهم أهلاً لأن يقاتلونا إن شاء الله ولا هم أكفاء لنا، ولكن المسألة -بطبيعة الحال- إنما هي بيننا وبين

بريطانيا، والمهم أننا إذا وثقنا بربنا وبما ضمنه لهذا النبي الكريم ولأمته بالنصر عليهم فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله أن يظهر ذلك عاجلاً أو آجلاً...

وإنني أوصي الجميع بالرجوع إلى الله تعالى، فهو القادر على كل شيء، وهو الذي بيده كل شيء، ويَجب أن نتمسك بديننا وبما جاء به كتاب الله تعالى وشريعة نبينا ﷺ، وهذا ما أوصي به نفسي وأوصيكم به.

وأسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويُعلي كلمته ويعز الإسلام وينصر المسلمين، ويؤيدهم بروح من عنده، إنه سميع مجيب.

* * * *

إننا سلفيون محافظون على ديننا

الخطاب الذي ألقاه جلالته في منى خلال موسم الحج لعام (١٣٦٥هـ)، (١٠ ذي الحجة ١٣٦٥هـ - نوفمبر ١٩٤٦م).

نحمد الله تعالى الذي حفظ علينا ديننا وعروبتنا وقوميتنا، وما ذلك إلا ببركة دعوة محمد ﷺ، فقد أمننا الله في ديارنا وحفظها من الأسواء ووقاها الشرور.

وخير ما أنصحُ به المسلمين أن يتمسكوا بدينهم، ففيه العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ولو اتبع المسلمون أوامر دينهم لفازوا بكل أسباب النجاح والسعادة ولكن -مع الأسف الشديد- فقد دبت في المسلمين عناصر غريبة عن دينهم كانت سببًا في انحلالهم وتأخرهم ووصولهم إلى ما صاروا إليه.

فيجب أن نتعلم من العلوم ما ينفعنا وفي مقدمتها معرفة كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص وكلمة السعادة، ويجب أن نعرفها ونفهمها ونعمل بها لأنها كلمة جامعة لخير الدنيا والآخرة، ففيها إفراد الله بالربوبية وتوحيده بالعبودية (لا إله) تنفي العبادة عن غير الله، (إلا الله) تثبت له العبادة -سبحانه وتعالى-، كما يجب أن يتطهر المسلمون من البهرجة والزيف، وأن يتمسكوا بدينهم، وخير ما يَجب في هذا الصدد أن يفنى الإنسان في دينه والمحافظة عليه والعمل به، لما اشتمل عليه من الفضائل، ومن اتخذ الدين نبراسًا له أعانه الله، ومن تركه خلف ظهره خذله الله.

أسأل الله أن يرحمنا، ويرزقنا اتباع سلفنا الصالحين الذين أقاموا قسطاس العدل، فهم أسوتنا وهم قدوتنا إن شاء الله.

إنني رجلٌ سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة، أما قدوتنا -إن شاء الله- فهو عمر بن الخطاب في الخلفاء الراشدين، ذلك

الإمام الذي حمل الدقيق على ظهره لإحدى آرامل المسلمين، وفي الأمويين عمر بن عبد العزيز الذي ضرب بعدله وزهده المثل، وإنني أود أن نفنى -أنا أو أولادي- في سبيل الله، والمسلم لا يبيت في فراشه إلا على نية الجهاد، وكذلك من لا يود أن يموت مجاهدًا في سبيل الله لا يكون صحيح العقيدة. ولقد سبقت لي في الجهاد صفحات ماضيات ما باليتُ أن قطعت عضدي في سبيل الله؛ لأنني لا أقبل في الله لومة لائم، ولأن أكثر ما يهمني هو المحافظة على كلمة التوحيد، ثم على محارم المسلمين، ونسأل الله أن يحيينا عبيدًا خاضعين مطيعين له، خاشعين في عبادته صادقين في إيماننا، وعلينا بعد ذلك أن نسأل الله تعالى فهو الذي يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾، وها نحن نقول: «لبيك اللهم لبيك»، ولا يتم ذلك إلاَّ بإخلاص العبادة والدعاء، فإذا أصلحتم دينكم فأصلحوا الدنيا بالتواصي بالرحمة والتعاضد والتساند والتآخي والتمسك بالاتحاد لكي تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾.. فإن تصبكم حسنة فمن الله، وإن تُصبكم سيئة فمن نفوسكم، وانظروا إلى التاريخ كيف كان بنو إسرائيل حينما كانوا متمسكين بدينهم، ثم كيف آل مصيرهم بعد أن غيروا دينهم، فصاروا إلى ما صاروا إليه.

ومن حكمة الله تعالى أن سوى بين عباده، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، والحسنة في ذاتها حسنة ولكنها من بيت النبوة أحسن، والسيئة في ذاتها سيئة ولكنها من بيت النبوة أسوأ، وقد أعزّ الله العرب بمحمد ﷺ، النبي الذي هو أفضل من الملائكة وسائر المخلوقات، ومن حكمته أنه أعز الإسلام بسلمان الفارسي وبلال، وأذل المشركين بأبي جهل وأبي لهب ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾.

نسأل الله تعالى أن يعز الإسلام ويزيل عنا الشر والعدوان، وأن يوفقنا إلى العمل بما جرى عليه السلف الصالح ببركة الله ثم ببركة التعاون والتآلف، وأوصيكم بالتعاضد والتساند وأن يحب أحدكم لأخيه ما يحب لنفسه.

يقولون إننا «وهابية» والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا، ونتبع كتاب الله وسُنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسُنَّة رسوله، ولقد صدق القائل:

فليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

ونحن جميعًا مقصرون في أمور ديننا، ولكن الله غفور رحيم، وفي حديث قدسي عن الله: «يا عبادي لو لم تذنبوا لخلقتُ عبادًا يذنبون فيستغفرون فأغفر لهم».

أما عن فلسطين فنحن لا نقصر عنها إن شاء الله، وها نحن مُجاهدون في سبيلها بحول الله، وأنا لا أحبُّ أن أقول «عملت» ولا أن أقول «سأعمل»، ولا أحب الأقوال مطلقًا، ولكن متى صلحت النية فالعمل حاصل إن شاء الله... وها هي ذي الجامعة العربية، سنوالي تأييدها بكل ما نستطيع، وقد اتفقت فيها كلمة العرب، والذي أرجوه أن يكونوا جميعًا يدًا واحدة وألا يشذ منهم أحد وإلا فقد صح فينا قول القائل:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد ... وهب لصروف الدهر ما أنت واجد

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه ... فواعجبًا إن سالمتك الأباعد

ولا زلت أوصي المسلمين بالاتحاد والتعاضد، وإذا كنا ننكر أفعال اليهود أو غيرهم فيجب ألا نعمل أعمالهم، ولا يَجب أن نعيب ونحذو حذوهم..

نسأل الله تعالى أن ينصر دينه، وأن يُعلي كلمته، وأن يؤيد المسلمين في بقاع الأرض ويردهم إلى محجة الهدى والصواب، ويرشدهم إلى ما فيه نفعهم وصلاح أمورهم في دينهم ودنياهم...

* * * *



الكلمة الملكية بمناسبة

افتتاح إذاعة المملكة العربية السعودية

بمناسبة افتتاح أول إذاعة في المملكة العربية السعودية، وجَّه جلالته الكلمة التالية التي ألقاها بالنيابة عنه «صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز»، نائب جلالته في المنطقة الغربية.

الحمد لله الذي جعل من هذا البيت الحرام مثابة للناس وأمنًا... كما أحمده وأشكره -والشكر من نعمائه- أن يسَّر للناس حج بيته العتيق وجعل قلوبهم تهفو إليه، ليشهدوا منافع لهم وتتآلف قلوبهم بذكر الله في هذه البقاع الطاهرة التي كانت منزلاً للوحي لهدى الناس أجمعين، وأصلي وأسلم على رسول الله الذي بعثه بالهدى ودين الحق.

وبعد. فإنه ليسرنا أن نُخاطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من هذا البيت الحرام، في هذا اليوم المبارك، ونتناصح ونتواصى بالبر والتقوى وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله، وإخلاص العبادة له وحده، كما أمرنا ربنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾..

ندعو حجيج بيت الله الحرام لنبذ كل ما يُخالف أمر الله واتباع ما أمر الله به، كما ندعو كل المسلمين لأن يجمعوا قلوبهم على كلمة الإخلاص، وأن يزيلوا ما بينهم من خلافات وأن يعتصموا بحبل الله...

هذه دعوتنا لإخواننا المسلمين عامة، ولإخواننا العرب خاصة، وإنا لنرجو الله مخلصين أن يتقبل من إخواننا حجاج بيت الله الحرام حجهم، وأن يستجيب دعاءهم، وأن يعيدهم إلى أهليهم فائزين، غانمين بغفرانه ورضوانه، وأن يهدينا جميعًا سواء السبيل... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

تتمة لترجمة الإمام عبد العزيز

من مجلة السلفية

العدد الرابع (١٤١٩هـ)

من مقال:

« مصلح القرن الملك الداعية السلفي »

بقلم رئيس التحرير

موسى بن عبد الله آل عبد العزيز

وتتضمن

شيوخه واهتمامه بنشر العلم وبيان

بأسماء المخطوطات، والكتب التي طبعها

على نفقته وأمر بتوزيعها

بسم الله الرحمن الرحيم

شيوخه:

عهد به والده الإمام عبد الرحمن -رحمه الله- إلى القاضي عبد الله الخرجي -من أهل الخرج-، فتعلم مبادئ القراءة، والكتابة وقرأ القرآن على الشيخ محمد بن مصيبيح، ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ في كراسة صغيرة أعدها له، ثم استمر في سماع الدروس وتلقي العلم رغم ضيق وقته وكثرة مسئولياته.

وبعد انتهائه من توحيد المملكة واصل في تحصيل العلم، وذلك بالسماع يوميًّا لدروس التفسير، والعقيدة، والسيرة.

وله بعض المؤلفات في الأذكار توزع مجانًا، وغيرها من المنشورات التي أخذنا من بعضها مقتطفات في هذا البحث إضافة إلى نشر العلم وطبع المخطوطات.

اهتمامه بنشر العلم:

لقد اهتم بطبع المخطوطات كما ذكر ذلك الزركلي، حيث قال: «بين يدي أكثر من نيف ومائة مخطوط». اهـ ولا بأس من نقلها كما أوردها، وإليك بيانها لتعرف قيمة اهتمامه بالعلم، وحُسن التوجه في المعتقد، والمنهاج، وقد أمر بطباعة طائفة منها وتوزيعها مجانًا.

- التفسير:

أولاً: تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، وهو من أحسن التفاسير فائدة، حيث يفسر الآيات بالآيات، وبالسُّنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين من تلاميذ الصحابة، ومن اقتدى بأثرهم، يقع في (أربع مجلدات)، وقد كان الملك عبد العزيز يستمع إليه في الدرس اليومي.

ثانيًا: «معالم التنزيل» للإمام البغوي، وقد وهم الزركلي حينما جمع ابن كثير مع البغوي، وسمَّى تفسيرهما: «تفسير القرآن العظيم»، فليراجع (أربعة مجلدات).

ثالثًا: «أوضح البرهان في تفسير أم القرآن» للمعصومي، مجلد.

- التاريخ:

أولاً: «البداية والنهاية»، لابن كثير (١٤ مجلدًا).

ثانيًا: «طبقات الحنابلة»، (رجال)، مجلد.

ثالثًا: «روضة الأفكار»، (تاريخ ابن غنام)، مجلدان.

- الفتاوى:

أولاً: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» مجلد.

ثانيًا: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» لجماعة من علماء نجد، (٤ مجلد).

ثالثًا: «مختصر الفتاوى» لشيخ الإسلام، مجلد.

رابعًا: «مجموعة رسائل وفتاوى بعض علماء نجد»، مجلد.

خامسًا: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، لجماعة من علماء نجد، (٤ مجلد).

- الفقه:

أولاً: «المغني» للموفق ابن قدامة، والشرح الكبير لابن قدامة المقدسي، (١٢ مجلدًا).

ثانيًا: «روضة الناظر»، لابن قدامة مع شرح لبدران، مجلد.

ثالثًا: مجموعة المتون في الفقه والتوحيد، لبعض علماء نجد، مجلد.

- الحديث:

أولاً: «جامع الأصول» لابن الأثير، (١٢ مجلدًا).

ثانيًا: «مجموعة الحديث»، مجلد.

ثالثًا: «شرح تهذيب سنن أبي داود»، لابن القيم، «معالم السنن»، للخطابي، مختصر السنن للمنذري، (٨ مجلدات).

* * *

- **الأدب**:

أولاً: «الآداب الشرعية»، لشمس الدين بن مفلح، (٣ مجلدات).

ثانيًا: «روضة المحبين» لابن القيم، مجلد.

ثالثًا: «ديوان ابن سحمان»، مجلد.

- **العقيدة**:

أولاً: «التوحيد» لابن خزيمة، مجلد.

ثانيًا: «شرح الطحاوية» لابن أبي العز، مجلد.

ثالثًا: «كتاب السنة» للإمام عبد الله بن أحمد، مجلد.

رابعًا: «مجموعة التوحيد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرين، مجلد.

خامسًا: «فتح المجيد» لعبد الرحمن بن حسن، مجلد.

سادسًا: «الهدية السنية» لابن سحمان، مجلد.

سابعًا: «الثلاثة الأصول والأربعة القواعد»، للإمام محمد بن عبد الوهاب.

- **الردود**:

أولاً: «الصواعق المرسلة» لابن القيم الجوزية، مجلدان.

ثانيًا: «تلخيص الاستغاثة» لابن تيمية، مجلد.

ثالثًا: «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية، مجلد.

رابعًا: «كشف غياهب الظلام» لسليمان بن سحمان، مجلد.

خامسًا: «الضياء الشارق»، مجلد.

سادسًا: «الصواعق الشهابية»، مجلد.

سابعًا: «تنبيه ذوي الألباب»، مجلد.

ثامنًا: «مصباح الظلام» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، مجلد.

تاسعًا: «تأسيس التقديس»، للشيخ عبد الله بابطين، مجلد.

عاشرًا: «كشف الشبهات»، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجلد.

حادي عشر: «خطب الإمام محمد بن عبد الوهاب وأحفاده»، مجلد.

- العبادات:

أولاً: «تحفة المناسك في أحكام المناسك»، لسيدان بن عبد الله، مجلد.

ثانيًا: «مناسك الحج على المذاهب الأربعة» لابن حسن، وابن مانع، مجلد.

- الوثائق:

أولاً: «سلوك الطالب» لابن سحمان، مجلد.

ثانيًا: «إيقاظ همم أولي الأبصار»، مجلد.

ثالثًا: «تحفة السلطان» للمعصومي، مجلد.

رابعًا: «النفحة القدسية»، للشيخ أحمد العسيري، مجلد.

تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية، وطبعت على نفقته كتب كثيرة في الهند ومصر، لم يذكر عليها اسمه، ومما جاء على بعض مطبوعاته في الهند، من أنها طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب، (ومن الكتب التي طبعت في مصر الفتح الرباني).

قال الزركلي: «ولدينا «عشرات» من كتب التفسير، والحديث، والتاريخ، والأدب القديمة والحديثة، أمر بشراء مجموعات منها كبيرة وصغيرة، لتوزيعها مجانًا. اهـ.

قلت: ليته تابع استقصاءها نظرًا لأهميتها، وقد ذكر بعضها ونحن نذكر منها.

- التفسير:

أولاً: «تفسير سورة الإخلاص»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجلد.

ثانيًا: «تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه»؛ لمحمد طاهر الكردي، مجلد.

- الحديث:

أولاً: «الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد»، لأحمد الساعاتي، (١٢ مجلدًا).

ثانيًا: «السنن الكبرى» للبيهقي، (١٠ مجلدات).

ثالثًا: «مسند الإمام أحمد»، (٤ مجلدات).

رابعًا: «جامع الترمذي، وشرحه تحفة الأحوذي»، (١٥ مجلدًا).

خامسًا: «المستدرك على الصحيحين» للحاكم النيسابوري، (٤ مجلدات).

سادسًا: «فيض الباري على صحيح البخاري»، للكشميهني، (٤ مجلدات).

سابعًا: «نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية» للزيلعي، (٤ مجلدات).

ثامنًا: «تذكرة الموضوعات» لمحمد بن طاهر الهندي، مجلد.

- السير:

- «خديجة أم المؤمنين»، عبد الحميد الزهراوي، مجلد.

- التاريخ:

أولاً: «الفصول في تاريخ الرسول ﷺ»، مجلد.

ثانيًا: «أخبار مكة» للأزرقي، مجلدان.

ثالثًا: «عنوان المجد في تاريخ نجد»، لابن بشر، مجلدان.

رابعًا: «قلب الجزيرة العربية»، لفؤاد حمزة، مجلد.

خامسًا: «تاريخ الكعبة» للشيخ حسين باسلامة، مجلد.

سادسًا: «سيرة محمد بن عبد الوهاب» لأحمد عطار، مجلد.

سابعًا: «صقر الجزيرة»، لأحمد عطار، (٣ مجلدات.

ثامنًا: «عمدة الأخبار في مدينة المختار» لأحمد العباسي، مجلد.

- الفقه:

أولاً: «زاد المستقنع» لشرف الدين الحجاوي، مجلد.

ثانيًا: «عمدة الفقه» للموفق بن قدامة، مجلد.

- الشروح:

«شرح منتهى الإرادات» للبهوتي، (٣ مجلدات).

- المناقب:

أولاً: «مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي.

ثانيًا: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»، لابن عبد الهادي.

- **كتب منوعة:**

أولاً: «الفروسية»، لابن القيم، مجلد.

ثانيًا: «يسر الإسلام» لرشيد رضا، مجلد.

* * * *


فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

* * * *

صدر حديثًا

رسالة الإمــام
عبد العزيز الأول

- رحمه الله -

في التوحيد

١١٣٣- ١٢١٨

اعتنى بها وخرج أحاديثها

أبو عبد الأعلى

خالد بن محمد بن عثمان الْمِصْري

عفا الله عنه



تحت الإعداد

تَرْجَمَةُ العَلاَّمَةِ الإِمَامِ عَبْدِ الرَّزَاقِ عَفِيفِي

النُّوبِي الشَّنْشُورِي -رحِمَه الله تعالى-
(١٣٢٣-١٤١٥ هـ)

ويليه...

جَامِعُ فَتَاوَى
العَلاَّمَةِ عَبْدِ الرَّزَاقِ عَفِيفِي

جَمع

محمود بن عبد الرزاق عفيفي وليد بن إدريس بن منسي

وثّق أصوله ورتَّب الفتاوى وخرَّج أحاديثها

أبو عبد الأعلى
خالد بن مُحمّد بن عثمان الْمِصْري

الطبعة الشرعية بإذن وَرَثَة الشيخ -رحِمَه الله-
بِها وثائق وفتاوى وتصويبات
تنشر لأول مرة



تحت الإعداد

التعصب للشيوخ

عواطف مشوبة بالأهواء

داء وبيل مزق الأمة شيعًا

صفحات من تاريخ المُتعصِّبين الأسود

تأليف

أبي عبد الأعلى

خالد بن محمد بن عثمان المصري

راجعه وقدَّم له

فضيلة الشيخ العلامة

حسن بن عبد الوهاب بن مرزوق البنا

المدرس بالجامعة الإسلامية وعضو هيئة

التوعية الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com